موسوعة

نضرة النعيم

في

مكارم أخلاق الرسول الكريم
صلى الله عليه وسلم

موسوعة قيم أخلاق التربية الإسلامية
لما أمر به ونهي عنه في الكتاب والسنة

إعداد مجموعة من المختصين بإشراف

صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب الحرم المكي

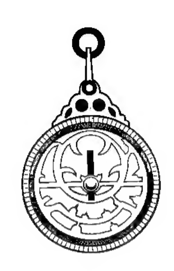
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح
مؤسس دار الوسيلة للنشر والتوزيع

المجلد الأول



دار الوسيلة
للنشر والتوزيع

تليفون ٦٦٥٥٨٧٩ / ٦٦٥٩٨٦٤ / فاكس ٦٦٠٤٧٣٣ (٠٠٩٦٦٢)
ص.ب ٧٤٧٩ جدة ٢١٤٦٢ المملكة العربية السعودية



الناشر : دار الوسيلة
للنشر والتوزيع

تليفون ٦٦٥٥٨٧٩/ ٦٦٥٩٨٦٤/ فاكس٦٦٠٤٧٣٣(٠٠٩٦٦٢)
ص.ب ٧٤٧٩ جدة ٢١٤٦٢ المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: alwasila@midleast.net
العنوان على شبكة الإنترنت : www.prophetmohammed.com

(ح) دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ ـ جدة
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ

رقم الإيداع : ١٨/١١٧٩
ردمك : X - ٠٠ - ٨٣٨ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٨ - ١ - ٨٣٨ - ٩٩٦٠ (ج ١)

١ ـ السيرة النبوية ٢ ـ الأخلاق الإسلامية ٣ ـ الشمائل المحمدية

ديوي ٢٣٩،٦ ١٨/١١٧٩

رقم الإيداع : ١٨/١١٧٩
ردمك : X - ٠٠ - ٨٣٨ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٨ - ٠١ - ٨٣٨ - ٩٩٦٠ (ج ١)

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م
جدة ـ المملكة العربية السعودية

مَوْسُوعَة

نضرة النعيم

في

مكارم أخلاق الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم

الإشراف العام

صالح بن عبدالله بن حميد	عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملُّوح
إمام وخطيب الحرم المكي	مؤسس ومدير دار الوسيلة للنشر والتوزيع

لجنة الإعداد : بإشراف الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد

أ. محمد أحمد سيد أحمد	أ. محمد إسماعيل السيد أحمد
أ. صلاح محمد عرفات	أ. ناصر مهلل محمد حامد

لجنة المراجعة والضبط : بإشراف أ.د. علي خليل مصطفى أبو العينين

أستاذ ورئيس قسم أصول التربية الإسلامية بجامعة الزقازيق ، وفرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة

أ.د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي	أ. د. عبدالموجود متولي بهنسي
د. عزت عبدالحميد إبراهيم	د. أحمد علي محمود ربيع
د. إبراهيم صلاح السيد الهدهد	د. يس إبراهيم عفيفي

لجنة اللغة والتدقيق والفهرسة : بإشراف أ.د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي

أستاذ أصول اللغة العربية بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وأستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

أ. د. عبدالصبور السيد أحمد الغندور	أ. د.عبدالفتاح عيسى البربري
أ. د. محمد أحمد حسب الله	أ.د. زكريا عبدالمجيد النوتي
أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري	أ. د. سيد أحمد طهطاوي
أ.د.سعيد محمد صوابي	أ.د. محمد إبراهيم عبد الرحمن
د. أحمد كامل صالح	د. فراج جودة فراج
د. عاصم بدري حسين	أ. سبيع حمزة حاكمي
أ. أحمد شعبان الباسل	أ. محمود عبدالقادر الأرناؤوط
أ. عبدالحميد عبدالعليم البركاوي	أ. فؤاد محمد نور أبو الخير

إعداد السيرة النبوية :	**إعداد المقدمة التربوية :**
أ.د. حسام الدين قوام الدين حسن السامرائي	أ.د. علي خليل أبو العينين
أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى سابقا	أستاذ ورئيس قسم أصول التربية الإسلامية

الإدارة والمتابعة :

عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملُّوح	فؤاد محمد نور أبو الخير

برامج الحاسب الآلي :

م. ناظم يحيى عبدالرازق	م. نبيل أكرم نوح

الجمع والتنضيد بإشراف : توني نجيب زيدان أحمد

طارق علي بيومي	هاني محمد أحمد فرج
كمال حمزة أحمد	يوسف عبدالباقي محمود
مصطفى سعد محمد	محمد رضا محمد محمود
كمال مصطفى أبو زيد	عبد الإله محمود عساف

بعون الله تعالى وتوفيقه
شارك في إعداد هذه الموسوعة

الاسم	الصفة
١- الشيخ أ.د صالح بن عبد الله بن حميد	خطيب وإمام الحرم المكي، وعضو مجلس الشورى، وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقا.
٢- عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملُّوح	مؤسس ومدير عام مؤسسة بن ملّوح التجارية وفروعها دار الوسيلة للنشر والتوزيع ومؤسسة الصيانة الوقائية الشاملة - جدة.
٣- أ. فؤاد محمد نور أبو الخير	نائب مدير عام دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ونائب مدير عام مدارس الثغر النموذجية سابقا، ومدير القسم المتوسط والثانوي بمدارس دار الفكر سابقا.
٤- أ.د. على خليل مصطفى أبو العينين	أستاذ ورئيس قسم أصول التربية الإسلامية بجامعة الزقازيق فرع بنها، وفرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة سابقا.
٥- أ.د. عبد الفتاح عبدالعليم البركاوي	أستاذ أصول اللغة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة، وأستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
٦- أ.د. حسام الدين قوام الدين السامرائي	أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى سابقا.
٧- أ.د. محمد أحمد حسب الله	أستاذ التاريخ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة، وأستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
٨- أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري	أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنوفية، وكلية المعلمات بالطائف.
٩- أ.د. عبد الموجود متولى بهنسي	أستاذ البلاغة بكلية اللغة العربية بالمنوفية.
١٠- أ.د. عبد الصبور السيد الغندور	أستاذ مشارك بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ فرع الطائف.
١١- أ.د. عبدالفتاح عيسى البربري	أستاذ مشارك بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ فرع الطائف.
١٢- أ.د. زكريا عبدالمجيد النوتي	أستاذ الأدب المساعد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة، وكلية التربية بالطائف
١٣- أ.د. سعيد محمد صوابي	أستاذ علوم الحديث المشارك بجامعة الأزهر بالقاهرة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ فرع الطائف.
١٤- أ.د. محمد إبراهيم عبد الرحمن	أستاذ التربية الإسلامية المشارك بكلية التربية بجامعة عين شمس بالقاهرة، وكلية المعلمين بالطائف.
١٥- أ.د. السيد أحمد طهطاوي	أستاذ أصول التربية المشارك بجامعة أسيوط، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
١٦- د. إبراهيم صلاح السيد الهدهد	أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة.
١٧- د. أحمد على محمود ربيع	أستاذ أصول اللغة المساعد بجامعة الأزهر، وجامعة كوالا لامبور بماليزيا.
١٨- د. أحمد كامل محمد صالح	أستاذ التاريخ المساعد بكلية دار العلوم بالقاهرة، وكلية التربية بجامعة أم القرى ـ فرع الطائف.
١٩- د. عزت عبد الحميد إبراهيم	أستاذ أصول اللغة المساعد بكلية اللغة العربية بالمنوفية، وكلية المعلمين بعرعر بالمملكة العربية السعودية.
٢٠- د. عاصم بدري حسين	أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية المعلمات بالطائف.
٢١- د. فراج جودة فراج	أستاذ الأدب المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وكلية التربية بالطائف.
٢٢- د. يس إبراهيم عفيفي	دكتوراه في اللغويات من جامعة الأزهر
٢٣- أ. سمير محمد عبدالتواب	وكيل وزارة الإعلام بالقاهرة سابقا.
٢٤- أ. صلاح محمد عرفات	المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.
٢٥- أ. محمد أحمد سيد أحمد	المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.
٢٦- أ. محمد إسماعيل السيد أحمد	المحاضر بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
٢٧- أ. ناصر مهلل محمد حامد	خريج معهد الدعاة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
٢٨- أ. محمود عبدالقادر الأرناؤوط	محقق تراث. الجمهورية العربية السورية.
٢٩- أ. سبيع حمزة حاكمي	محقق تراث. الجمهورية العربية السورية.
٣٠- أ. أحمد شعبان الباسل	المحاضر بكلية التربية ـ فرع جامعة أم القرى ـ بالطائف.
٣١- أ. عبدالحميد عبدالعليم البركاوي	تخصص القراءات (دبلوم في الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق بالقاهرة).

محتويات المقدمة

* اعتمدنا في ترقيم الصفحات من (أ) إلى (ع ب) على النظام العربي القديم الذي يستخدم حروف (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) أرقامًا حسابية، حيث أ = ١ ، ب = ٢ ، جـ = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط = ٩ ، ي = ١٠ ، ي أ = ١١ ... إلى ي ط = ١٩ ، ك = ٢٠ ... إلى ك ط = ٢٩ ، ل = ٣٠ ... وهكذا. وتُعرَف هـذ الطريقة بطريقة حساب الجُمَّـل. انظر هذه الطريقة في مقدمة لسان العرب وفي القاموس المحيط مادة (ب ج د).

محتويات الموسوعة

مسلسل	الفهـــــرس	رقم الصفحة
	المجلد الثاني عشر	
١	مقدمة الفهارس	١
٢	فهرس المحتويات	٦
٣	فهرس الشواهد القرآنية	١٧
٤	فهرس الأحاديث النبوية	١٢٠
٥	فهرس الآثار وأقوال العلماء والمفسرين	٢٥٦
٦	فهرس الأعـــلام	٣٧١
٧	فهرس المصطلحات	٤٤٤
٨	فهرس الفروق اللغوية	٤٥٧
٩	فهرس الوجوه والنظائر	٤٥٩
١٠	فهرس الأحكام الشرعية وآداب السلوك	٤٦١
١١	فهرس الحكم والأمثال	٤٦٤
١٢	فهرس الأشعار والأرجاز	٤٦٦
١٣	فهرس الأمم والقبائل والجماعات	٤٩١
١٤	فهرس الأماكن والبلدان	٥٠٠
١٥	فهرس الإحـــالات	٥١١
١٦	فهرس المصادر والمراجع	٥١٧
١٧	استدراكات	٥٥٧

بســـم الله الرحمـٰن الرحيم

هذه الموسوعة

نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ

الأهداف والطموحات

بقلم: عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح

مؤسس ومدير عام دار الوسيلة للنشر والتوزيع

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام والإيمان والإحسان، الحمد لله الذي منَّ علينا بهذا الفضل العظيم وشرَّفنا بالقيام بإعداد هذه الموسوعة التي بين أيدينا والتي استغرقنا في إعدادها تسع سنوات وجمعنا محتوياتها من أكثر من ألف ومائة مصدر، ويسَّر لنا الصحة والوقت والمال والإخوة الصالحين لإعانتنا على إتمام هذا العمل[1]، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فهو أحق من ذُكِر وأحق من شُكِر وأحق من عُبِد وأحق من حُمِد وأجود من سُئِل وأكرم من قُصِد وأوسع من أعطى ... وبعد:

فهذه الموسوعة التي نتشرف بتقديمها للعالم الإسلامي، وللعالم أجمع هي موسوعة أخلاق النبي ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

ولما كان خلقه ﷺ القرآن ـ كما أخبرت بذلك أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ[3]، فإنها تصبح بذلك موسوعة الأخلاق الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، وكما تجسدت عمليا من خلال تطبيق متكامل في شخص الرسول ﷺ وسنته المطهرة. فوصفه الله عز وجل بقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4].

والخلق هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب حتى يصير كالخلقة فيه فسمي خلقًا ولهذا قال عبدالله بن مسعود: «إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته»[5].

---

(١) مر العمل في الموسوعة خلال هذه السنوات التسع بثلاث مراحل هي:-

أ - مرحلة الإعداد، وقد تولى الإشراف عليها فضيلة الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقًا.

ب - مرحلة المراجعة والضبط، بإشراف أ. د علي خليل مصطفى أبو العينين وكيل كلية التربية للدراسات العليا بجامعة الزقازيق فرع بنها.

جـ مرحلة التدقيق والفهرسة، بإشراف أ. د عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي أستاذ اللغويات بجامعتي الأزهر وأم القرى.

(٢) الأنبياء/ ١٠٧.

(٣) جاء ذلك في الحديث الذي رواه مسلم (حديث رقم ٧٤٦) حيث قالت أم المؤمنين: «إن خُلُق نبي الله كان القرآن».

(٤) القلم/ ٤.

(٥) انظر صفة الأدب (٢/ ١٤١) من هذه الموسوعة.

لقد شاء المولى أن أسمي هذه الموسوعة بهذا الاسم «**نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**» لما يحدث التحلي بأخلاق الرسول ﷺ، عامة والدعوة إلى الله تعالى بصفة خاصة، من نضرة في الوجه يتجلى نورها على الإنسان فينشرح صدره وتطيب نفسه وينا له نصيب من دعائه ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها**»[1]، وقد أمرنا بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الآخر فقال: «**بلغوا عني ولو آية**»[2].

إن نضرة الوجه في الدنيا ليست وحدها هي غاية المسلم أو الداعية، وإنما الغاية الأعظم هي التمتع بهذه «النضرة» في نعيم الآخرة أيضًا، يقول الله تعالى:

﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾[3].

من تَأَمَّلِ هذه الآيات الكريمة يتضح الارتباط بين «البر» وبين «نضرة النعيم» من حيث إن الأبرار هم الذي تُعرَف النضرة في وجوههم في جنة النعيم، والبر قد عرَّفه الرسول ﷺ بقوله: «البر حُسن الخُلُق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[4]. هي إذن موسوعة «البر» وموسوعة «حُسن الخُلُق» في آن واحد. إن هذا الخُلُق الحسن، أو الخُلُق العظيم الذي كانت حياة الرسول ﷺ تجسيدًا له لابد وأن يتحلَّى به كل مسلم يريد أن يحيا حياته متأسيا بالرسول الكريم ﷺ، استجابة لقوله تعالى:

﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾[5].

وبذلك تكون هذه الموسوعة هي أيضًا موسوعة الحياة التي يُبْتَغى بها وجه الله والدار الآخرة.

إن الواجب على كل مسلم يتأسى برسول الله ﷺ ويتحلى بهذه الأخلاق الحميدة، أن يتخلى عن الأخلاق السيئة فينتهي عما نهى الله عنه وعما حث رسول الله ﷺ على تركه من ذميم الأخلاق وسيء الخصال، ومن هنا كان حرصنا على أن تتضمن هذه الموسوعة الأمرين معا: ما أُمِرَ به ونُهِيَ عنه في الكتاب والسنة، لقوله عز وجل: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[6]. وما كان الأمر كذلك إلا لأن القلب أو النفس يتنازعهما دائما وازع الخير (من الله تعالى) بما أودعه من فطرة وأمده من حفظ الملائكة، ووازع الشر (من الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء)، ولكي يتحلى الإنسان بالفضيلة فلابد أن يتخلى عن الرذيلة، ولكل جزاؤه المحدد في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[7].

---

(١) سنن الترمذي، حديث رقم ٢٦٢٨، وانظر صفة الدعوة إلى الله جـ٥ ، ص ١٩٥٧ .

(٢) البخاري ـ الفتح، حديث رقم ٣٤٦١، وانظر جـ ٥ ، ص ١٩٥٥ من هذه الموسوعة.

(٣) المطففين/ ٢٢ - ٢٤. (٤) رواه مسلم، حديث رقم (٢٥٥٣)، وانظر صفة البر من هذه الموسوعة

(٥) الأحزاب/ ٢١. (٦) الحشر / ٧. (٧) الزلزلة/ ٧ - ٨.

الحاجة لهذه الموسوعة :

إنه لما كان البر وحسن الخلق متلازمين مصداقا لقول الصادق المصدوق ﷺ «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ» فإن محاسن الأخلاق ومكارمها ينبغي أن تكون من الوضوح بمكان، ولكن أين نجد ذلك من بين ما لا يُحصى من صفحات أمهات كتب الفضائل والآداب والأحكام ونحوها؟ وأين نقف على التحديد الدقيق لمعنى هذه الصفة أو تلك؟

في القرآن الكريم، نعم، في كتب الحديث الشريف، نعم، في كتب السيرة النبوية، نعم، في معاجم اللغة وكتب آثار السلف الصالح رحمهم الله، نعم، ولكن أنَّى للمسلم أن يقف على ذلك كله في وقت معقول وبوسيلة مناسبة؟ إن كتب السلف الصالح رحمهم الله على كثرتها وتنوعها لا تفي وحدها بالغرض المطلوب لتناثر الصفات بها من ناحية، واختلاف أسلوبها من ناحية ثانية، أما كتب المحدثين فإنها - في الغالب - قد اقتصرت على صفات معيّنة يغلب عليها طابع الانتقاء، وهنا كان التفكير في أن نوجد في المكتبة الإسلامية، ما تفتقر إليه من وجود مرجع موحد شامل، لما هو مشتت في مئات الكتب، أي إيجاد عمل موسوعي يضم شتات صفات التربية الإسلامية وقيمها لما أمر به وما نهي عنه في الكتاب والسنة في مصدر موثق صحيح، يعيد عرضها على نحو منظم ومتكامل، وبأسلوب قريب سهل التناول يناسب عامة الناس في هذا العصر بحيث يسهل على الآباء أن يفهموها ويُفهموها أبناءهم، وعلى المدرسين أن يُعلموها تلاميذهم، وعلى الخطباء والدعاة أن يُوضحوها لمن يتلقى عنهم ويستمع إليهم، وعلى رجال الصحافة والإذاعة وغيرهما من وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية أن ينشروها بين الناس، ويوفروا بذلك قدرًا هائلًا من المعلومات الصحيحة والمركزة مما يساعد على رفع مستوى جودة المعلومات لديهم، ويعطي مرونة كبيرة في اختيار المادة العلمية وطريقة عرضها.

إن المسلم والداعية المتأسي برسول الله ﷺ، لابد أن يدعو نفسه أولًا إلى التمسك بالخُلُق الحميد ويربيها على ذلك في أفعاله وأقواله، وكل ذلك اقتداء بالحبيب المصطفى ﷺ وحبا له، فإذا أحبه وجد حلاوة الإيمان، بل اكتمل بذلك إيمانه لقوله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار»[1].

وقوله ﷺ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[2].

ومن اكتمل إيمانه، حسن خلقه مصداقًا لقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا»[3]. ومن باب المحبة لله عز وجل الإيمان به والمحبة لرسوله ﷺ والتصديق بما جاء به، تؤخذ محبة الخلق والتأدب معهم ومعاملتهم بالإحسان وحُسن الخُلُق، ولنا أن نتأمل قول رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[4].

---

(١) البخاري- الفتح ١ (٢١)، و مسلم (٤٣). (٢) البخاري- الفتح ١ (١٥)، ومسلم (٤٥).
(٣) انظر هذا الحديث بتمامه في صفة حُسن الخُلُق (٥/ ١٥٧٥)، وقد خرّجناه هناك. (٤) البخاري ـ الفتح (١/ ١٣).

وبهذا يكون الداعية من الـذين اتبعوا رسول الله ﷺ، وهو بذلك يحمل برهان حـب الله له ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[١]، وإذا أحب الله العبد حبب فيه الناس، ووضع له القبول في الأرض مصداق ذلك مـا جاء في الحديث الشريف: «إن الله إذا أحـب عبدًا دعا جبريل فقـال: إني أحب فلانًا فـأحبه، قال: فيحبه جبريل ثـم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبـوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضـع له القبول في الأرض»[٢].

فإذا ربَّى الإنسـان نفسه على حب الرسـول ﷺ واتباعه، توجه إلى أهلـه وأبنائه وعشيرته الأقربين فـدعاهم لما يحييهم ويضمـن لهم الفوز في الدنيا والآخـرة،ثم توجـه بالدعـوة بعد ذلك لكل مـن يستطيع دعوتهم. وهـذا هو عين الخير وحُسن الخُلُق وكمال الإيمان، وثمرة ذلك كله هو القرب من رسول الله ﷺ في جنة النعيم لقوله ﷺ:

«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»[٣].

ولكي تؤتي هذه الدعوة ثمارها المرجوة فإن على الدعاة أن يتأسوا برسول الله ﷺ في:-

أ - أن تكون الدعوة على بصيرة وعلم، يقول الله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٤].

قيل في تفسير البصيرة هي اليقين والحق[٥]. وهذه البصيرة إنما تتحقق بـالتفقه في الدين، الـذي هو دليل إرادة الخير للداعية، حيث يقول الرسول ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٦].

ب - أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٧].

حيـث حثه ربـه بأن يـدعـو إلى دين الله وشرعـه بتلطف ولين دون مخاشنـة وتعنيـف، وهكذا ينبغـي أن يوعـظ المسلمين إلى يوم القيامة[٨]، ويقول الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٩].

هي إذن موسـوعة للدعوة، ومنهاج للـدعاة تزودهم بالبصيرة وتمدهم بـالحكمة من أفعال الرسـول ﷺ وأقواله وتوجيهاتـه، وهي في الوقت نفسـه موسوعة لتربية النفـوس، وتربية الأجيال على الإيمان الصـادق والإسلام الصحيح، والإحسان المرجو، وبعبارة أوجـز هي موسوعة «التربية الـدينية» الصحيحة لأنها تعتمد على ما جاء بـه القرآن الكريم ودعت إليه السُّـنَّة النبوية المطهرة. لذا كان من الوضوح بمكان تفسير قوله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

---

(١) آل عمران/ ٣١. (٢) البخاري ـ الفتح ١٣(٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٠١٨) وقال: حديث حسن، وانظر صفات المحبة وحُسن الخُلُق والأدب.

(٤) يوسف/ ١٠٨. (٥) تفسير القرطبي، (٩/ ٢٧٤). (٦) البخاري ـ الفتح، حديث رقم ٧١ .

(٧) النحل/ ١٢٥. (٨) انظر تفسير القرطبي (١٠/ ٢٠٠). (٩) آل عمران/ ١٥٩.

معناه: و إنك لعلى دين عظيم من الأديان، وليس هناك دين أحب إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1].

هي إذن موسوعة الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ هؤلاء الذين وصفهم الله ـ عز وجل ـ وهو مالك خزائن الحسن والإحسان، بأنهم أحسن الناس قولًا يقول سبحانه:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

ولكم أيها الأخوة والأخوات الوقوف على هذه الآية والتأمل والتدبر في معناها وقتًا طويلًا لتعرفوا كم نحن مقصرون في أداء واجب حمل الأمانة التي حمَّلنا إياها رسول الله ﷺ في إبلاغ الدعوة أداء لحق الوراثة في هذا التبليغ[3].

فأين نحن من الاقتداء بحياة رسول الله ﷺ وحياة صحابته الكرام الذين اقتدوا به في الدعوة إلى الله وهم الذين تفرقوا بين مشارق الأرض ومغاربها وتوفوا في أبعد الأمصار في سبيل رفع كلمة الله؟

نحن أحفاد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فأين نحن إذًا من رفع راية هذا الشرف العظيم؟

أهداف الموسوعة وتحديات المستقبل:

يقول بعض علماء السلف الصالح: «إنه إذا كان شرف المطلوب بشرف نتائجه، وعظم خطره بكثرة منافعه، وبحسب منافعه تجب العناية به، وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمرته، ولما كان أعظم الأمور خطرًا وقدرًا، وأعمها نفعًا ورفدًا، ما استقام به أمر الدين والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والأولى».

لما كان الأمر كذلك وجب أن نضع نصب أعيننا التحديات الآتية :-

أولًا : إن موضوع الحفاظ على القيم الأخلاقية والمثل العليا في المجتمعات الإنسانية عامة، والإسلامية بصفة خاصة هو موضوع الساعة، ذلك أن هذه القيم باتت مهددة نتيجة للانحلال الفكري والثقافي المتواصل نتيجة الصراع بين المثل العليا والتطور الإنساني الذي انصرف إلى تنمية مقدرات ومهارات الإنسان العلمية والتقنية ليلحق لاهثًا بسير ركب التقدم التقني وذلك على حساب إهمال دور القيم المتعلقة بأمور الدين والعقيدة وحياة الفرد والأسرة والمجتمع،وهذا هو الطغيان و إيثار حب الحياة الدنيا الذي ذمه الله تعالى بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[4].

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[5].

وهو الضلال الذي وصفه عز وجل بقوله:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[6].

---

(١) آل عمران/ ٨٥. (٢) فصلت/ ٣٣.

(٣) انظر كلمات معالي الدكتور عبدالله التركي وزير الشئون الإسلامية، وفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، وختام كلمة فضيلة الدكتور الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد في أهمية الدعوة إلى الله.

(٤) النازعات/ ٣٧ - ٣٩. (٥) الأنعام/ ٤٤. (٦) الكهف/ ١٠٤.

وسبب الضلال عن طريق الحق هو أن ابتغاء الحياة الدنيا أصبح هو الهدف المسيطر دون إيجاد التوازن المنشود بين الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]. لذا حدث الانحلال الذي أخذت تنهار أمام هجماته الشرسة صروح القيم ومكارم الأخلاق الإنسانية التي عرفتها الشعوب منذ الأزل، وأخذت الحضارة الإنسانية تهتز من قواعدها، وأصبحت القيم العليا تحني رأسها خجلًا من واقع مرير تحكمت فيه الشبهات والأهواء النفسية والشهوات الجسدية من ناحية، والأهداف المادية والنفعية من جهة أخرى.

و إذا نظرنا إلى عالم اليوم وجدنا الشبهات تغلبه وتعمه، فأغلب المجتمعات يعمها الشرك والكفر والإلحاد، فمنهم من يعبد ما صنعت يداه من تماثيل وأصنام، ومنهم من يعبد الحيوان والشجر، ومنهم من يعبد الشمس والقمر والكواكب، ومنهم من يعبد النار، ومنهم ملحد خاوي لا يعبد شيئًا، هذا من ناحية الشبهات، أما من ناحية الشهوات فحدث ولا حرج عن انتشار تعاطي الخمور والمخدرات وانتشار دور الميسر والدعارة تحت رعاية الجريمة المنظمة وغير المنظمة، إضافة إلى انتشار المعاملات الربوية التي تئن تحت وطأتها شعوب كثيرة وتنهار أمام جبروتها مؤسسات ودول في مناطق عديدة من العالم، وهذا الوضع المخزي أدى بطبيعة الحال إلى الانحلال الفكري والخُلقي وتفكك الترابط الأسري وكثرة حالات الطلاق والإجهاض والأطفال غير الشرعيين إضافة إلى تفشي جرائم العنف والأمراض المعدية والأمراض النفسية الخطرة في كثير من المجتمعات. قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[2].

من هنا فإنه لا مجال لمقاومة هذا الانهيار إلا بالرجوع إلى أسس الفضيلة المتمثلة في مكارم أخلاق الرسول ﷺ باعتباره الرحمة المهداة والنعمة المسداة للبشرية جمعاء، يقول الله تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾**[3].

إن الرجوع إلى الصراط المستقيم يقتضي أن نتخذ من أخلاقه العظيمة أساسًا للتربية الإسلامية، حتى نستطيع التصدي لمخاطر هذا الانحلال الفكري والثقافي، يقول الله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾**[4]، ويقول سبحانه: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**[5]. فالعالم الإنساني لا نور له ولا رحمة فيه إذا هو تجرد عن الأخلاق و إن أزمات الحضارات ما اندثر منها وما بقي إنما يعود إلى إنحلال الأخلاق[6].

ثانيًا : أن نضع في اعتبارنا أن هناك ثورة هائلة في عالم الاتصالات، وسرعة مذهلة في إيقاع الحياة العصرية هذه الثورة، وتلك السرعة، جعلتا الكون كله قرية صغيرة يلهث فيها الأفراد وراء المعلومات السهلة الميسرة، وعلى ضوء هذه المستجدات سنحت فرصة حقيقية وطيبة سخرها الله تعالى وقادها لنا من أجل تقديم قيم أخلاق التربية

---

(١) القصص/ ٧٧. (٢) الروم/ ٤١. (٣) الشورى :٥٢ – ٥٣. (٤) الأحزاب/ ٢١. (٥) الأنبياء/ ١٠٧.

(٦) شخصية الرسول ﷺ في ضوء المقاييس الإنسانية، د. عبدالحليم عويس، ص ٣١.

الإسلامية على نحو سهل وميسر، في شكل منظومة مترابطة الحلقات، متكاملة الأهداف، تشكل مدخلًا حقيقيًا لمواجهة هذا التحدي الحضاري والتغلب عليه بالوسائل المناسبة في عصر سرعة المعلومات، وهذا ما حاولناه بالفعل في هذه الموسوعة بأن أوجدنا الذخيرة العلمية للقاعدة المعلوماتية اللازمة لخوض هذا التحدي.

ثالثًا : أن نعلم أن الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ بأسلوب عصري يتمشى مع مقتضيات العصر ومتطلباته من حيث السرعة والإمكانات ، ليست بالأمر السهل أو اليسير إذ يتطلب ذلك أن يتبنى ذو الهمم العالية وأولو العزم ما تجسده هذه الموسوعة من معانٍ سامية، ويقوموا بدعمها بقوة، توازي - إن لم تفق - قوة الخطر الداهم الذي يحيط بالعالم الإسلامي والعالم أجمع من كل حدب وصوب، وهذا هو ما نرجوه ونتوقعه بإذن الله.

رابعًا : إن خطر الحضارة المادية على القيم الإنسانية الرفيعة وفتنة شبهاتها وشهواتها أصبح يهدد كل طفل وفتاة، بل كل رجل وامرأة من خلال تسربها عبر وسائل الإعلام المختلفة مثل قنوات الأقمار الصناعية والصحف والمجلات التي تغرس انحرافات، لا تتم مقاومتها إلا بتربية إسلامية أصيلة تقوم على التأسي بصاحب الخُلُق العظيم **محمد** ﷺ، ولا يتسنى ذلك على نحو كامل وشامل إلا بعون الله ـ عز وجل ـ وتوكلنا عليه أولًا، ثم من خلال طباعة هذه الموسوعة وتوزيعها ونقل معارفها بشتى الوسائل الإعلامية والتعليمية المختلفة ثانيًا، بأن تكون هذه العلوم والمعارف في متناول كل مُرَبٍّ في البيوت والمدارس والجامعات، وبيد كل داعية وخطيب وموجه، وفي مكتبة كل مدرسة ومسجد ومنزل، وبذلك يتحصن الجميع بمكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ضد هذه الغزوة الشرسة ويصمدون أمام تلك الفتن الزائفة.

اقتراحات وتوصيات:

وأمام هذه التحديات التي أشرنا إليها والتي لابد أن نضعها نصب أعيننا، ولكي ننجح في التصدي لمخاطر الانحلال الثقافي والفكري من ناحية، ونقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى من ناحية أخرى، فإننا نوصي بما يلي :-

أولًا : نأمل إن شاء الله أن تدخل قيم أخلاق التربية الإسلامية ضمن مناهج التعليم التخصصي في كليات الدعوة والشريعة وأصول الدين ومعاهد إعداد الدعاة ونحوها من الكليات والمعاهد التي تهتم بأمر الدعوة الإسلامية، وإنشاء تخصص جديد باسم «مكارم الأخلاق النبوية» ضمن الإطار العام لتخصص «أصول التربية الإسلامية» الموجود بالفعل في بعض كليات التربية، بحيث تكون هذه الموسوعة حجر الزاوية في هذا التخصص، ولذلك مزايا عديدة أهمها:

أ - إتاحة الفرصة أمام المعلمين لاختيار موضوعات التربية الإسلامية التي يقومون بتدريسها بحيث تكون متكاملة ومترابطة.

ب - إتاحة الفرصة أمام الخطباء لكي تكون خطبهم متناسقة ومتتابعة على نحو منظم يستغرق شهورًا وربما سنوات، على نحو متدرج يكفل الانتقال السلس من صفة لأخرى، مما يجعل خطب يوم الجمعة تتصف بالموضوعية

والإقناع لوجود علاقة وربط بين خطبة هذا الأسبوع مع الأسبوع الذي سبقه والذي سيليه. وبذلك يمكن إحياء رسالة المسجد، ورفع مستوى أداء الخطب التي ستأتي مركزة ومترابطة ومعتمدة على المعلومات الموثقة الصحيحة.

ثانيًا :نأمل إن شاء الله تعالى أن تدخل موضوعات الموسوعة ضمن برامج الجامعات والكليات ذات التخصصات المختلفة ومراعاة أهمية تدريس هذه القيم فيها لأن هؤلاء المتعلمين في مختلف التخصصات سيكونون غدًا إن شاء الله مدرسين ومسئولين عن نقل هذه المعارف القيمة للجيل الذي سيليهم وبالتالي لابد لهم من أن يحصلوا على هذه العلوم ويحرصوا عليها.

وحبذا لو خصصت المدارس الثانوية دورات في مادة اختيارية تحمل مسمى «الأخلاق الإسلامية» يلتحق بها الطلاب الراغبون في زيادة ثروتهم في مجال الأخلاق، ويتسلحون بها في مواجهة التيارات الهدَّامة التي تهب عليهم من كل جانب.

ثالثًا :كما نأمل أن تدخل موضوعات الموسوعة ضمن النشاط الثقافي في المدارس وذلك بإجراء مسابقات حول موضوعاتها من ناحية ، وتخصيص أسابيع للثقافة الإسلامية يختص كل منها بإحدى مكارم أخلاق الرسول ﷺ كأن يخصص أسبوع للصدق وآخر للأمانة، وثالث للاستقامة، ورابع لمكافحة الغش ... وهكذا.

رابعًا : نأمل بعون الله تعالى أن تفتح معاهد تدريب تعقد فيها دورات يلتحق بها من أراد من عامة الناس دون قيد أو شرط، أي بغض النظر عن المؤهل العلمي، أسوة بالدورات التدريبية الأخرى التي تنهض بها معاهد الإدارة، أو معاهد تدريس الحاسب الآلي، وذلك انطلاقًا من أن ما يتعلق بمكارم أخلاق الرسول ﷺ هو في حقيقة الأمر دورة في علوم ومعارف الحياة الإنسانية بأرقى معانيها، ومما يدعم هذا المطلب ويقويه أنه لا توجد حتى الآن قنوات لتغذية المطالب المتزايدة ـ في ظل الصحوة الإسلامية الحالية ـ بالمعلومات الصحيحة عن الإسلام، اللهم إلا في الكليات أو المعاهد المتخصصة التي لا يمكن الالتحاق بها إلا وفقًا لشروط لا تتيسر سوى لأعداد محدودة من الراغبين في التزود بمثل هذه المعلومات.

إن إعطاء هذه المعلومات الصحيحة عن القيم الإسلامية وأخلاق المسلمين كما جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة لعامة الناس وفقًا لمنهج علمي متكامل أصبح مطلبًا ملحًّا في عالم اليوم، ولابد أن تنهض به معاهد تنتشر في كل أرجاء العالم ويلتحق بها كل الراغبين.

وينبغي أن نشدد القول على أن نقطة الضعف المهمة جدًّا والتي يجب الانتباه إليها هي أنه في غياب تنظيم عملية تلقي المعلومات في ظل الصحوة الإسلامية العالمية الكبيرة سيظل الباب مفتوحًا على مصراعيه لتقديم معلومات مغلوطة ومشوشة بدون منهج علمي محدد أو مرشد يعتمد عليه أو معين يوثق فيه.

إن أساس النجاح في أي عمل هو التخطيط والتنظيم وحُسن السيطرة والتوجيه والإدارة، فإذا ما توافرت هذه الأمور في إنشاء تلك المعاهد وأعد لها الإعداد الجيد باستخدام هذه الموسوعة قاعدة لمنهج المعلومات فإن ثمرتها ستعم أرجاء المعمورة كلها بإذن الله تعالى.

خامسًا : على المستوى العالمي ـ وكما هو معروف ـ فإن دعوة الإسلام رسالة عالمية للناس كافة، ومن ثم ينبغي أن يكون خلقه العظيم ﷺ أسوة للبشر جميعًا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. ولكن كيف للناس في شتى بقاع المعمورة أن يعرفوا هذه القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة على الوجه المطلوب؟

لا يتم ذلك إلا بعون الله ـ عز وجل ـ وتيسيره بترجمة الموسوعة إلى ما يلي :-

(١) إلى لغات العالم الإسلامي في كل القارات، في آسيا مثل الأوردو والبنغالية والهندية والملاوية والفارسية والصينية، وإفريقيا مثل الهوسا واليوربا والفلاتا والسواحيلية.وأوربا مثل الألبانية والبوسنية. وقد انتهينا والحمد لله من الترجمة إلى لغة الأوردو.

(٢) الترجمة إلى اللغات العالمية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية. ونحن في سبيل المباشرة بالترجمة للغة الإنجليزية وغيرها إن شاء الله.

(٣) الحرص على برمجة هذه المعلومات بمختلف اللغات على الحاسب الآلي وإصدارها في أقراص الليزر ضمن برامج الوسائط المتعددة التي تشمل النص والصوت والصورة. وفي هذا تسهيل لعرضها على شبكة المعلومات (الانترنت) العالمية.

سادسًا : ويتعلق بالتحرك على المستوى العالمي أيضًا عقد ندوات عالمية تتخذ من الأخلاق الإسلامية موضوعها الأساسي ويتصل بها عقد مسابقات دولية على غرار مؤتمرات ومسابقات تحفيظ القرآن، وحبذا لو كان ذلك في مدينة الرسول الكريم المدينة المنورة ﷺ.

الثمرات المرجوة:

إن لتنفيذ هذه الخطوات وتحقيق تلك الطموحات السالفة الذكر ثمار عديدة نُجْمِلُهَا فيما يلي :-

١ - رفع الوعي العام بأهمية موضوع مكارم الأخلاق لدى شعوب العالم كافة والشعوب الإسلامية بوجه خاص، ويترتب على ذلك تحسين مستوى التعليم ووضع مبادىء التربية الإسلامية في المكان اللائق بين مختلف النظم التربوية في العالم، وسوف تكون الصفات الكريمة التي تضمنتها الموسوعة مجالًا خصبًا لإعداد المقالات والنشرات في الصحف اليومية والمجلات والبرامج الثقافية في الإذاعة والتليفزيون، ونحو ذلك وهي بذلك تسد ثغرة في المكتبة الإسلامية بما تتيحه من وجود مصدر موحد ومرجع شامل يوفر للمرء كل ما يحتاجه ويتمنى معرفته ابتداءً من السيرة النبوية وانتهاءً بتفاصيل مكارم الأخلاق النبوية.

---

(١) سبأ/ ٢٨.

٢- إن تنفيذ التوصيات سالفة الذكر سينجح بإذن الله في سد هذا الفراغ الكبير في الساحة الثقافية والحضارية، إضافة إلى أنه سيغلق الباب أمام تيارات الانحراف والفساد الوافدة على العالم الإسلامي من الخارج، وفي الوقت نفسه يتصدى للإرهاب الفكري للحركات الضالة التي تتستر باسم الإسلام، ويقف سدًّا منيعًا أمام حركات الغلو والتطرف التي تسعى إلى طرح نفسها بديلًا يملأ الفراغ في الساحة الفكرية والثقافية.

والموسوعة إذ تقدم البديل الأمثل المتمثل في مكارم أخلاق سيد الخلق محمد ﷺ وما يدعو إليه الدين الحنيف من المحبة والألفة والتسامح والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، تيسر بإذن الله السبيل لمن أراد أن يدعو إلى نبذ العنف ومحاربة الجهل والظلم وخاصة جهل الإنسان لدينه ولنفسه، وظلمه لها أو للآخرين.

٣- إن تواجد هذه البرامج بقوة على الساحة الدولية سيساعد كثيرًا في تحسين مستوى الدعوة إلى الإسلام وتحسين صورة الإسلام التي يشوهها المغرضون، حيث إنه يمكن عرض قيم مكارم أخلاق الدين الإسلامي بديلًا للانهيار الخُلقي الذي تعاني منه الكثير من الشعوب ويمكن طرح هذا الأمر ليس في المحافل الدينية فحسب بل على منابر المؤتمرات المتخصصة في مجالات التعليم والطب النفسي والتربية والدراسات الاجتماعية ولقاءات حوار الحضارات بين الأمم.

٤- إن سرعة نقل المعلومات وإمكانية التقاطها بيسر وسهولة داخل المنازل عبر شبكة المعلومات (الانترنت) العالمية ستصبح وسيلة فعَّالة لوضع برامج العلوم الإسلامية وخاصة ما تتعلق من ذلك بالأخلاق النبوية الكريمة على قدم المساواة مع بقية العلوم الأخرى، وبذلك تتاح فرصة أكبر لكل تواق إلى المعرفة باحث عن الحقيقة كي يصل إلى غايته بيسر وسهولة وبحمد الله وعونه تم تسجيل عنوان لهذه الموسوعة على شبكة الانترنت بمسمى «محمد رسول الله» ﷺ، وهذا العنوان مدون في ظهر صفحة مسمى الموسوعة في أول المجلد هو خطوة أولى لتقديم معلومات الموسوعة عالميًّا إن شاء الله.

روح الأمل والمستقبل:

أما الثمرة العظمى التي نرجوا قطافها من هذه الموسوعة فهي غرس روح الأمل في مستقبل مشرق يعم العالم الإسلامي، بل والعالم كله، إن نحن سرنا على الصراط المستقيم الذي دعانا إليه رسول الله ﷺ وتأسينا بأخلاقه، وإذا كان الله ـ عز وجل ـ أخذ ميثاق النبيين بأن يؤمنوا بهذا الرسول وأشهدهم وشهد معهم وينصروه فالأولى بنا الاقتداء بهم، يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[1].

---

(١) آل عمران/ ٨١ - ٨٣.

نصر الله وعد الحق :

لقد وعدنا الله بالنصر المبين إذا نحن نصرناه، باتباع دينه والاهتداء بسنة نبيه ﷺ في تبليغ دعوة الله إلى الخلق وإقامة شريعته، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[1].

لقد وعد المولى ـ عز وجل ـ البشرية كلها بالفلاح والفوز إن هم نصروا رسوله ﷺ واتبعوا النور الذي أنزل معه، يقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2]، وبذلك يتحقق خروج العالم مرة أخرى من الظلمات إلى النور، من ظلمات الباطل والجهل والانحلال إلى نور الحق والعلم والتمسك بقيم الخُلُق العظيم.

وطريقنا إلى هذا النصر الموعود كما أوجزه فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين يتمثل في تقوى الله وفي الصدق في كل شيء، والتمسك بالخلق الحميد، ونصرة الله تعالى، يقول فضيلته في إحدى خطبه الجامعة: اصدقوا الله تعالى في عقائدكم وفي نياتكم في أقوالكم وفي أفعالكم، عاملوا الله تعالى كما أمركم أن تعاملوه به، اعبدوه مخلصين له الدين، التزموا شريعته غير مغالين ولا مفرطين، انصروا الله تعالى بالانتصار على أنفسكم الأمارة بالسوء، والتغلب على أهوائكم التي تهوي بكم إلى النار، انصرو الله تعالى بالغيرة لدينه وحمايته والذود عنه، فإن الله يقول: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[3].

فيا أمة القرآن، يا أمة محمد ﷺ، يا أمة التوحيد والإيمان، إن هذه الآيات الكريمة وهذه الوعود المؤكدة الصادقة كلام ربكم العليم القدير، القوي العزيز، ولقد صدق الله وعده، وأنجز نصره، وهزم الأحزاب وحده، لقد كان ذلك حينما كانت الأمة الإسلامية قائمة بالشرط المشروط عليها للنصر تؤمن بالله ورسوله وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالنصر من عند الله ـ عز وجل ـ لأنها تؤمن بأن لله وحده عاقبة الأمور، لا ترهب الأعداء ولا تخاف من قواهم المادية، وإنما تقابل عددهم بشجاعة وعُدَدِهم بما هو أقوى وأعتى، وأفكارهم وتصرفاتهم الماكرة بما هو أدهى وأنكى، ممتثلين بذلك أمر الله ـ عز وجل: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾[4]. معتمدين في ذلك على الله ـ عز وجل ـ: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[5]. مؤمنين بقول من بيده ملكوت السماوات والأرض وهو يجير ولا يجار عليه ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ**

---

(١) الحج/ ٤٠.   (٢) الأعراف/ ١٥٧.
(٣) النور/ ٥٥.   (٤) الأنفال/ ٦٠.   (٥) آل عمران/ ١٥٩.

﴿يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]،[2].

شكر وتقدير:

نتقدم بخالص الشكر والتقدير لصاحب الفضيلة الدكتور الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين عضو هيئة الإفتاء ــ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الذي تفضل بقراءة هذه الموسوعة وهي في صورتها الأولية وقدم لها في كلمة وافية عن الإسلام ومكارم الأخلاق والدعوة قال فيها: «ولا شك أنه جهد كبير وعمل واسع، يستدعي بذل الوسع، والحرص على الاستقصاء، ولذلك استغرق الجمع والبذل والكتابة فيها وقتا طويلا رغم توافر الجهود، وكثرة الباحثين، حتى أنتجوا هذا العمل المشكور الذي يرجى نفعه إن شاء الله للمبتدئ والمحتذي، والراعي والرعية، والفرد والمجتمع، فلقد أراحو طالب الاستفادة من كثرة العناء في البحث والتنقيب في أمهات كتب الأحكام، و كتب الفضائل وكتب الآداب، وكتب الأوامر والنواهي والزواجر ونحوها، وأحالوا القارئَ إلى الأماكن التي توسع مؤلفوها في تلك المسائل بإيراد النقول والآثار والعلل والأحكام والمنافع والمضار، فنوصي طالب العلم بالحرص على اقتناء مثل هذه الموسوعة الطيبة المباركة، ومراجعتها عند الحاجة والاستفادة منها، وشغل أوقات الفراغ بمطالعة ما تيسر من الأبواب والمسائل، فهي مرجع أساسي للدعاة والمصلحين، والخطباء والوعاظ، والمفتين والقضاة واللغويين وغيرهم. فلفضيلته منا ومن بقية العاملين بالموسوعة خالص الشكر والتقدير والامتنان على ما قدمه من اهتمام ورعاية حفظه الله ورعاه.

كما أننا نتقدم بالشكر وافرًا وجزيلًا لمعالي الدكتور الشيخ عبدالله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، لما تفضل به معاليه من اطلاع على الموسوعةوإشادته بأهمية الدعوة إلى الإسلام ومكارم الأخلاق في تقريظه لهذه الموسوعة التي قال فيها: «إن هذه الموسوعة عمل علمي مبارك، وجهد موفق في سبيل الفضيلة تأصيلًا وتطبيقًا». وقال معاليه: «والناظر في هذه الموسوعة ، يدرك لأول وهلة، أنها من أوليات ما تحتاج إليه الدعوة إلى الله، فهي تيسر خلق الإسلام وهديه أمام المسلم، وتظهر جانبًا هامًّا مما ورد في القرآن الكريم من العلوم والمعارف، وهو جانب الأخلاق، الذي جعله الرسول صلوات الله عليه وسلامه من أوليات رسالته وأهداف بعثته». فجزاه الله عنا خير الجزاء، وجعل ذلك الاهتمام بالموسوعة في ميزان حسناته، ووفقه دائمًا إلى ما فيه صالح الإسلام والمسلمين.

كما نتقدم بخالص الشكر والامتنان للأساتذة الأفاضل رؤساء اللجان وأعضاءها جميعًا ومن شارك في إعداد هذه الموسوعة بدون استثناء على ما بذلوه من إخلاص وجهد ووقت في سبيل إنجاز هذا العمل، وخاصة فضيلة الدكتور الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقًا،

---

(١) آل عمران/ ١٦٠.

(٢) الضياء اللامع، محمد صالح بن عثيمين، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

إذ تبنى فضيلته هذه الموسوعة وأشرف عليها منذ كانت فكـرة حتى صارت عملًا علميًّا متكامل الأركان وثيق البنيان، وندعو الله العلي القدير له بمزيد من الصحة والتوفيق والنجاح في خدمة الإسلام والمسلمين.

كما نشكر الأستـاذين الفاضلين أ. د. علي خليـل مصطفى أبـو العينين رئيس لجنة المراجعـة والضبط، و أ. د. عبدالفتـاح عبدالعليـم البركاوي رئيـس اللجنة اللغـوية على مـا بذلاه مـن جهد مشكـور في إعداد هـذه الموسوعـة وإخراجها على النحو اللائق، كما نشكـر الأخ الكريم أ. د. حسام الدين قوام الديـن حسن السامرائي على جهوده في إعداد السيرة النبوية، ونتقـدم بالشكر أيضًا إلى الأخ الفاضل الأستـاذ فؤاد محمد نور أبو الخير الذي تـابع هذا العمل منذ اللحظات الأولى، كما نشكر أعضاء فريق الحاسب الآلي على ما بـذلوه من جهد جبَّار لا يعرف الكلل أو الملل في تنضيد وتصحيـح الموسوعة، إنهم حقا الجنـود المجهولون الـذين قضوا السـاعات الطوال خلف أجهـزة الحاسوب في سبيل إخـراج هذه الموسوعـة على هذه الصورة المشرقـة، ونخص منهم بـالذكر الأسـاتذة: توني نجيـب زيدان أحمد، وطارق علي بيومي، وهاني محمد عبدربه.

أما على المستوى الشخصي فإني أقدم خـالص شكري وعظيم تقديري لكافة الإخوة والأصـدقاء الذين أمدوني بالتشجيع طيلة هذه السنـوات التسع، وأخص في هذا المقام زوجتي وأبنائي الأعزاء الـذين صبروا وعانوا كثيرًا بسبب غيابي عن المنزل وبقـائي أسيرًا ـ لساعات طوال ـ في مكتبـي مع بقية أعضاء فرق العمل بين الـورق وأمهات الكتب، فلهم مني أطيب تقدير وخـالص الامتنان، وأتوجه إلى العلي القدير بأن يحفظهم ويرعاهـم هم وعامة إخواني وأخواتي مـن المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وأن يجعلهـم جميعًا مـن المقتديـن برسـول الله ﷺ ومن أصحـاب نضرة النعيم في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح

جدة - المملكة العربية السعودية

في العشرين من شعبان سنة ١٤١٨هـ

الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم



تقريظ

لمعالي الدكتور: عبدالله بن عبد المحسن التركي
وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه، والتابعين، والعاملين بهديه وسنته، إلى يوم الدين.

أما بعد ؛ فإنه منذ ظهرت رسالة الإسلام، وفي حياة النبي ﷺ، تأسست قواعد الدعوة إلى الله تعالى، وظهرت أصولها ، وتنوعت أساليبها، على هدي الوحي الإلـهي، في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ.

إن دعوة محمد ﷺ، كما أرادها الله، هي ختام الوحي الإلـهي، الذي بلّغه خاتم الأنبياء إلى البشر، وهي الدعوة التي تخاطب الناس جميعًا الأفراد والأمم والشعوب، إلى آخر الدهر.

يقول جلّ شأنه : ﴿قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1] .

وقد جاءت في القرآن الكريم قواعد الدعوة، وتحددت مناهجها، في مخاطبة العقول والقلوب والنفوس.

يقول تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْـمَوْعِظَةِ الْـحَسَنَةِ وَجَادِلْـهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] .

وكان الرسول صلوات الله عليه وسلامه في حياته الشريفة، وبالتكريم الإلـهي له، قدوة للمسلمين جميعًا، وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

لقد وصفه الله تعالى في جميع أقواله وأفعاله وأحواله بأنه على خلق عظيم، يقول تعالى :﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3] . وهو الرحمة المهداة إلى البشر. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[4] .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٥٨.
(٢) سورة النحل : آية ١٢٥.
(٣) سورة القلم : آية ٤.
(٤) سورة الأنبياء : آية ١٠٧.

فالدعوة إلى الله رحمة للخلق في أهـدافها وغاياتها. وهي تحتاج إلى الرحمة في ترغيب النـاس فيها، وتقريبهم منها، ولذلك كانت الرحمة التي أودعها الله في قلب نبيه ورسـوله للناس جميعًا، أعظم عون للرسول في جمع الناس على الهدى، والاعتصام بحبل الله المتين.

ففي القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

وعلى هذا الهدي الإلـٰهي، في الكتاب والسنة، سار أئمة الدعاة في كل عصر من عصور الإسلام.

وكان انتشار الإسـلام في أقطار الأرض كلّها نتيجة جهـدهم وثمرة اتباعهـم للهدي الإلـٰهي في تبليغ الـدعوة، ومخاطبة العقول، وتزكية النفوس.

وكان من أئمة الدعاة إلى الله في مختلف الأزمنة والأمكنة، القراء والفقهاء والعلماء، والصالحون من الناس.

وكان لكل منهـم أثر كبير في هداية الخلق، ببيـان كلمة الله، وإظهار حكمه وشرعـه، وبضرب الأمثلة في حسن الأدب مع الله، والاتباع لما دعا إليه الدين من مكارم الأخلاق في التعامل مع الناس.

وهـذا الجانب الأخير كـان له أعظـم الأثـر في انتشار الإسـلام بين الأمـم، فإن المسلـم حين يظهر بين النـاس بأخلاق الإسلام وهديه، يكون قوله وفعله الذي يتأسى فيه بالرسول ﷺ، من أعظم الوسائل في الدعوة إلى الله، ومن ثم يكون الاقتناع والاتباع.

إن إكمال مكارم الأخلاق يعد من أعظم المهمات، وأهم الغايات في رسالة الإسلام.

يقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»[2].

* وأخلاق الـرسول ﷺ هـي الأخلاق التي بينهـا ربنا جل وعـز، ودعانـا إلى اتباعها في القـرآن الكريـم، وقد أدركت ذلك، وشهدته رؤيـة عين، أقرب الناس إلى الرسول ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحـواله، أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنهـا ـ فلـم تجد وصفًا يبين عظمـة أخلاق الـرسول ﷺ، إلا بنسبـة هذه الأخـلاق إلى الوحـي الإلـٰهي، في كمالـه وجلاله. فقالت: «كان خلقه القرآن»[3].

* ولذلك، فإن الخير كل الخير في أن تكون أخلاق الـرسول ﷺ في عظمتها وشمولها، معروفة للمسلمين جميعًا، ليكون الاتباع، ولتظهر الأسوة الحسنة، في حياته الشريفة، التي أرادهـا الله لنا مثلاً في حياة الإنسان، وتعامله مع الناس على هدى الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٤) بـلاغًا عن النبي ﷺ، وقال ابن عبـد البرّ: هو متصل من وجوه صحاح عـن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره، وانظر «كشف الخفاء» للعجلوني (١/ ٢٤٤ـ٢٤٥) رقم (٦٧٨).

(٣) قطعة من حديث رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٩١ و ١٦٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٩٩) وهو حديث صحيح.

وهذا الجانب من جوانب الدعوة ، له أهميته البالغة في هذا العصر بالذات، وفي كثير من البلاد الإسلامية.

فقد تبدَّل، كثير من القيم التي أرساها الإسلام، وتغير النظر إليها في بعض الأحيان، تأثُّرًا بقيم واردة، وأفكار وافدة على العالم الإسلامي. وهي في جملتها تنظر للأخلاق كأنها قيم اجتماعية، يضعها البشر ويتعارفون عليها بأنفسهم، وتقطع صلة الأخلاق بالدين وبالوحي الإلـهي، حتى يكون في مقدور الناس أن يغيروا ويبدلوا في قيم الأخلاق ، وفي السلوك والتعامل بينهم، بحسب الأهواء والمصالح ، على اختلاف الزمان والمكان.

ولكن المسلمين جميعًا، وبفضل معرفتهم بالأخلاق التي جاءت في القرآن الكريم، وظهرت قدوة وأسوة حسنة في حياة الرسول ﷺ، لا يجوز عليهم هذا التضليل، فهم يعرفون أن الرسالة الخاتمة هي التي أكملت البناء الأخلاقي للبشر إلى يوم الدين. وصدق رسول الله ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»[1] .

* إن الموسوعة التي بين أيدينا ، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» تتناول جانبًا هامًّا من جوانب الدعوة إلى الله تعالى، وإرشاد الخلق إلى ما فيه سعادة الدارين، وهي موسوعة تربوية تتعهد النفوس بالإصلاح والتزكية على الأساس الخلقي القويم، من الخلق النبوي الكريم، وتضع أمام المسلمين على اختلاف الشرائح العمرية والثقافية. نموذجًا حيًّا للخلق الإسلامي، من الهدي القرآني، ومن السنة النبوية، قولاً وفعلاً وحالاً.

وقد اجتهد واضعو هذه الموسوعة، في جمع فضائل الرسول ﷺ، كما وردت في المنقول الصحيح في عشرات الكتب والمراجع، لا سيما كتب السيرة والسنة النبوية، كما ورد فيها ما نهى عنه الله ورسوله، من مذموم الأقوال والأفعال والأحوال.

* وقد سلك واضعو الموسوعة، في تبويبها وترتيبها بحسب موضوعاتها، طريقة تحقق الفائدة واليسر معًا. فرتبوا الصفات والسجايا والفضائل، ترتيبًا هجائيًّا، ولا شك أن ذلك اقتضى منهم جهدًا علميًّا كبيرًا، يظهر في سلامة هذا الترتيب ودقته، الذي تظهر فيه القيم الإسلامية الكبرى، وما يندرج تحتها من أفعال الرسول وصفاته وسجاياه ﷺ، مما يعد تعليمًا وإرشادًا للمسلمين، وأسوة حسنة لهم في كل ما يأتونه، وما يتجنبونه من أقوال وأفعال وأحوال.

كما تقدم هذه الموسوعة زادًا علميًّا لكثير من المسلمين، وتيسر البحث والمعرفة في هذا المجال على المتخصصين في الدراسات الإسلامية.

وتنفع الأئمة في المساجد والوعاظ، في حلقات الوعظ والإرشاد، بما اشتملت عليه من معرفة الفروق الدقيقة بين صفات وأفعال تستحب من المسلم، ربما تبدو متماثلة مع ما بينها من فروق دقيقة أوضحتها الموسوعة، كالفرق بين

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

الاستعاذة والاستعانة والاستغاثة، والفرق بين الابتهال والدعاء، والفرق بين التفكر والتدبر والتذكر، وبين الحنان والعطف،وغير ذلك مما عرضت له الموسوعة، ببيان معناه لغة أو اصطلاحًا، وبيان ما يتفرع منه إلى أنواع كالأدب، وجمعت الموسوعة، هذه الصفات والسجايا من الأصلين العظيمين، القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، وأضافت إليهما ما ورد من آثار بشأنها، فردت كل صفة وسجية وفضيلة إلى أصلها القرآني، أو مثلها الأعلى في التطبيق النبوي.

* والناظر في هذه الموسوعة ، يدرك لأول وهلة، أنها من أوليات ما تحتاج إليه الدعوة إلى الله، فهي تيسر خلق الإسلام وهديه أمام المسلم، وتظهر جانبًا هامًّا مما ورد في القرآن الكريم من العلوم والمعارف، وهو جانب الأخلاق، الذي جعله الرسول صلوات الله عليه وسلامه من أوليات رسالته وأهداف بعثته.

وبهذا يظهر تميز الأمة الإسلامية ببنائها الأخلاقي. هذا البناء الذي يعتبر جانبًا جوهريًّا وهامًّا من الدين، ومنهجًا إسلاميًّا كاملاً في السلوك.

وقيم هذا المنهج وفضائله ليست نتاجًا اجتماعيًّا يتغير ويتبدل بحسب الزمان والمكان والمصالح والأهواء، وليست فرعًا من فروع المعرفة، يُعلَّم للناس دون أن يقترن بالاتباع والتطبيق في حياة المسلم.

وبذلك تكتمل صورة الخلق النبوي أمام المسلم ، وهي صورة ينبغي على الدعاة والخطباء والعلماء توضيحها، وبيان أهميتها، باعتبارها مثلاً أعلى يطلبه المسلم، ويستهدي به في تعامله مع الناس، مما يتحقق معه أمل كل مجتمع مسلم في الإصلاح الديني والاجتماعي.

وهو جانب هام يرجى أن تلتفت إليه أجهزة الدعوة ووسائل الإعلام، على تنوع أدواتها ومجالات عملها، والمخاطبين برسالتها، فيكون للتربية وتزكية النفوس جانب من اهتمامها، فإن النفس إذا صلحت بالتربية والتزكية، وتحلت بفضائل الأخلاق ، وتخلت عن المذموم منها، تكون أقرب إلى اتباع شرع الله وحكمه، وأصدق في العمل به، وأهدى وأقوم سبيلا في الدعوة إليه بين الناس.

* إن هذه الموسوعة، عمل علمي مبارك، وجهد موفق في سبيل الفضيلة، تأصيلاً وتطبيقًا، فجزى الله القائمين عليها خيرًا، ونفع بعملهم هذا المسلمين.

وإنه لمن دواعي سروري واغتباطي، أن أكتب كلمة عن هذه الموسوعة، بناء على طلب الأخ عبدالرحمن محمد بن ملوح، المدير العام لدار الوسيلة للنشر والتوزيع، شاكرًا له ولجميع العاملين فيها، والمشرفين عل إعدادالموسوعة، وفي مقدمتهم معالى الأخ الفاضل الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، إمام الحرم المكي وخطيبه، جهدهم الكبير.

أسأل الله أن يجزل مثوبتهم، ويكتب عملهم في سجل حسناتهم.

إنه عمل يستحق الشكر والتقدير والثناء على كل من تعاون فيه.

أسأل الله أن ينفع بهذه الموسوعة أبناء المسلمين، وأن يجعل القدوة والأسوة الحسنة في حياة الرسول ﷺ، قريبة منهم، ومثلاً أعلى لهم، يظهر ذلك في تعاملهم مع بعضهم، ومع الناس كافة.

وهي الغاية التي يسعى إليها الدعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

في المملكة العربية السعودية

تقريظ

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

عضو هيئة الإفتاء ـ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام وأرسل الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لاشريك له في الـٰهيته وأفعاله وأسمائه وصفاته،وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي هدى الله به الأمة من الضلال وأرشدهم به من الغواية وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن سار على نهجه واتبع هداه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد .. فإن ربنا جل وعلا لما أوجد هذا الكون بما فيه من عجائب المخلوقات كان من بين من خلقه نوع الإنسان الذي ميزه بالعقل والإدراك وفضله على كثير من خلقه كما قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[1] وكان من آثار هذا التكريم والتفضيل أن خصهم بالتكليف فأمرهم بعبادته وطاعته ونهاهم عن معصيته ومخالفته، وأرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب لبيان شرائعه التي كلف بها عباده وشرح لهم دينه الذي فرض عليهم اعتناقه، وختم أولـٰئك الرسل بنبينا محمد بن عبدالله الهاشمي النبي الأمي ﷺ وجعل شريعته خاتمة الشرائع، وكان من لوازم ختم النبوة به أن عمم رسالته الى الأحمر والأسود والعربي والعجمي والجن والإنس والقاصي والداني ومن آثار ذلك أن جعل دينه صالحًا ومناسبًا في كل زمان ومكان، وقد ضمن الله تعالى لهذه الشريعة الظهور،ولأهلها التمكين والنصر والغلبة بجميع أنواعها قال الله تعالى ﴿وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا﴾[2] ولقد صدق الله وعده ـ وهو لايخلف الميعاد ـ فأظهر المؤمنين الصادقين في صدر هذه الأمة ونصرهم على أعدائهم، ومكن لهم في البلاد حتى انتشر هذا الدين وظهر وغلب على سائر الأديان، ونصر الله أهله وقواهم به قال تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[3] وقال تعالى ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾[4] فجند الله هم أهل شريعته ودينه. ولهم الغلبة بالسيف والسنان، وبالحجة واللسان، وذلك أن ربهم معهم يؤيدهم ويقويهم ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾[5] ثم إنه تعالى تضمن لأهل هذه الشريعة الحياة السعيدة الطيبة والراحة والطمأنينة وسرور القلب ونعيمه في هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة، فقال تعالى ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[6] وقال تعالى ﴿لنبوئنّهم في الدنيا حسنة ولأجر الأخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾[7] والواقع أكبر دليل

---

(١) سورة الإسراء: آية ٧٠.
(٢) سورة النورة: آية ٥٥.
(٣) سورة المنافقون : آية ٨.
(٤) سورة الصافات : آية ١٧٣.
(٥) سورة آل عمران: آية ١٦٠.
(٦) سورة النحل : آية ٩٧.
(٧) سورة النحل : آية ٤١.

وشاهـد على تحقق ذلـك، فإن أهل الإسـلام كلما سلمت عقـائدهم وصلحت أعمالهم وأحـوالهم وابتعدوا عـن الكفر والشرك والمعاصي وتبرأوا مـن الكفار وأعمالهم وأخلصوا دينهـم لله تعالى فإنهم يحيـون في هذه الـدنيا في أعظم الـراحة والسرور ويغتبطون بـدينهم ويقتنعون بما رزقهـم الله، وتطمئن قلوبهم بـذكر الله، ويـرضون ويسلمون لقضـائه وقدره، ذلك أن هذه الشريعة الإسلاميـة فيها الهدى والرشاد ودين الحق الذي تضمنته رسالة هذا النبـي الكريم قال الله تعالى ﴿هو الذي أرسل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـه ولو كره المشركون﴾(١) والهدى هو البيان والدلالة والإرشاد بمعنى أن من اتبعه كان مهتديًا سائرًا على النهج القـويم والصراط المستقيم الذي لايزيغ من سلكه على حد قوله تعـالى ﴿فمن اتبع هداي فـلا يضل ولا يشقى﴾(٢) وذلك يدل بـوضوح أنه مشتمل على كل ما تمس إليـه حاجة البشر مما يتعلق بعباداتهم وقـرباتهم وبمعاملاتهم وشئون حياتهم، وذلـك من وصف هذه الرسالـة بالهدى ودين الحق فإن الحق ضد الباطل، وهذا وصف مطابق للواقع لأن كل ما جاء به هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام حق وصدق بعيـد كل البعد عن اللهو والبـاطل والفساد بل مشتمل على كـل قول يدحض أي باطـل ويدمغه كما في قول الله تعالى ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾(٣) وقال تعالى ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطـل كان زهـوقًا﴾(٤) فلابـد إن هذا الـدين الحق قـد اشتمل على كـل خير ودل الأمة على مـاهو الأصلـح لهم في معاشهم ومعادهم وأوضح لهم المنهاج القويم الذي يؤدي بمن سلكه إلى النجاة في الدنيا والآخرة.

وقد وصف الله كتـابه المنزل على هذا النبي الكـريم بأنه هدى وشفـاء قال الله تعالى ﴿وننزل من القـرءان ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾(٥) وقال تعالى ﴿يـٰأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾(٦) وهذه الأوصاف الشريفة الـرفيعة تقتضي أنه مشتمل على كل خير وأن الشريعة التـي اشتمل على بيانها واضحة المنهاج كـاملة في أهدافها ومقاصـدها وحاجياتها، كما تقتضي من كـل المخاطبين اعتناقه وتقبل كـل تعاليمه والسير على نهجه وشـدة التمسك بـه رغم مـاقد يحصل مـن عوائق أو ضيـق حال أو أذًى أو تعـذيب في سبيـل هذه الشريعة الغـراء وذلك ما عمل بـه الرعيل الأول وصدر هـذه الأمة حتى ظفـروا بالمطلوب وحصلوا على خيري الـدنيا والآخرة.

وهكذا وصف الله هـذا الكتاب بما يقتضي بيانه لكل شيء وشمـوله لجميع الأحكام، قال الله تعـالى ﴿آلـر تلك آيات الكتاب المبين﴾(٧) وقال تعالى ﴿حـمٓ والكتاب المبين﴾(٨) وقال تعالى ﴿قـد جاءكم من الله نـور وكتاب مبين* يهدي به الله من اتبع رضـوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النـور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾(٩) في آيات كثيرة يصف الله هـذا القرآن بأنه مبين أي بين واضح قـد بين الله فيه الهدى والرشاد وشرح فيه المنـاهج والأحكام والحلال والحرام كما يصفه بأنه نور أي يضـيء للسالكين أحكامه في غاية الاستنارة والسطوع وهـذه الصفات ونحوها

---

(١) سورة الصف : آية ٩.
(٢) سورة طه : آية ١٢٣.
(٣) سورة الأنبياء: آية ١٨.
(٤) سورة الإسراء: آية ٨١.
(٥) سورة الإسراء : آية ٨٢.
(٦) سورة يونس : آية ٥٧.
(٧) أول سورة يوسف.
(٨) أول سورة الزخرف
(٩) سورة المائدة : آية ١٥-١٦.

تفيد كماله وشمول أحكامه لكل ما تمس إليـه الحاجة في العبادات والمعاملات، والعقود والعهود والعقائد والأعمال، في الحال والمآل وغير ذلك. وهكذا أخبر عز وجل عن هذا الكتاب العظيم بأنه بيان وبصائر كما في قوله تعالى ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾(١) وقوله تعـالى ﴿هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقـوم يؤمنون﴾(٢) وقوله ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقـوم يوقنون﴾(٣) وكذا قوله تعـالى ﴿قد جاءكم بصائر من ربكـم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾(٤) ولاشك أن هذه الأوصاف الشريفة يفهم منها أنه بيان عام وإيضاح لحاجات الناس وأحكامهم وبصائر تنور الطرق وتوضح المنـاهج والسبل ليكون الناس على بصيرة من أمرهم وليعبدوا ربهم على نور وبـرهان، وليتركـوا ما كانـوا فيه من الجهـل العظيم والظلمات المدلهمـة رحمة من الله بالعبـاد، وذكرى ومـوعظة لهم وإرشادًا وتخويفًـا وتحذيرًا عـن التمادي في الغي والاستمـرار على ماهم فيـه قبله مـن الضلال المبين، ولاشـك أن هذه الأوصاف الشريفـة تدل على عمومـه لحاجات الأمة نصًا أو إشـارة وتضمنه لحل المشكلات وإيضـاح المبهمات وبيان الحق للناس في أمور دينهم ودنياهم ضد ما يقوله الأعداء والمنـافقون من تقصيره وإخلاله بالأحكام أو تخصيصه بزمان دون زمان، أو قصره على العبـادات والقربـات دون العقود والمعـاملات ونحو ذلـك من الأقـوال السخيفة السـاقطة، والظنون والأباطيل الكـاذبة، والتخرصات الباطلة التي يـروجها الأعداء ومن انخدع بهم للحط مـن قدر هذا الكتاب المبين، وللتحرر كما زعموا مـن التقيد بعلوم الشريعة والتصرف في حياتهم حسـب الميول والأهواء، وقد نسـوا أو تناسوا أن هذا القرآن الذي يعترفون بأنه تنزيل من حكيم حميد وآية معجزة من الله تعالى دال على صدق هذا النبي الكريم، قد بين الله تعالى فيه أصـول الدين وأشار إلى مسـائله وقال في حقه ﴿ونزلنـا عليك الكتاب تبيانًـا لكل شيء وهدًى ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾(٥) فعموم قـوله تعالى ﴿تبيانًـا لكل شيء﴾ يصدق على أصـول الأحكام وأسس العقائد وقـواعد الديـن وهذا هـو السر في وصف الديـن بالكمال قـال الله تعالى ﴿اليـوم أكملت لكم دينكـم وأتممت عليكـم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾(٦) وهذه الآية نزلـت في حجة الوداع في آخر حياة النبي ﷺ فقد تضمنـت أن هذا الدين قد كمله الله وأتمه وأكمل الشرائع والأدلة وسـائر الأحكام فقد بين الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ مـا يلزم العباد من الطاعات والقربات التـي هي حقوق الله عليهم فبين لهم أولاً أنه ربهم ومالكهم، ولفت أنظـارهم إلى مابين أيديهم وما خلفهم من الآيات وعجائب المخلـوقات التي فطر الله جميع الخلق على الاعتراف بأنها صنعه وإبداعـه كقوله عز وجل ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾(٧)... الآيات وقوله ﴿ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا...﴾(٨) إلخ.. وقوله ﴿أأنتم اشد خلقا أم السماء بناها﴾(٩) الآيات وقوله ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنَّا صببنا الماء صبًّا * ثم شققنـا الأرض شقًّا﴾(١٠) الآيات... إلـخ وقوله: ﴿أفلـم ينظروا إلى السماء فوقهـم كيف بنيناهـا وزيناها ومـالها من فروج﴾(١١) ونحو ذلك، ثم بين لهـم حيث أقروا بأن مافي الكون كلـه لله، فهو الخالق المنفرد بإيجاد المخلوقات أنه وحده

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٨.
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٠٣.
(٣) سورة الجاثية : آية ٢٠.
(٤) سورة الأنعام: آية ١٠٤.
(٥) سورة النحل : آية ٨٩.
(٦) سورة المائدة : آية ٣.
(٧) سورة المرسلات : آية ٢٥.
(٨) سورة النبأ: الآيات ٦ ـ ١٦.
(٩) سورة النازعات : آية ٢٧.
(١٠) سورة عبس: الآيات ٢٤ ـ ٣٢.
(١١) قٓ : آية ٦.

المستحق لأن يفرد بالعبادة، فلا يجعل له شريك في الدعـاء أو الرجاء أو التوكل أو الخضوع والركوع والسجود أو غيرها من أنواع العبادة، بل على الخلـق أن يخصوه بكل أنواع التذلل والإخبات، وأن ينيبوا إليـه ويعظموه حق التعظيم، لأنه ربهم وهم ملكه وعبيده وهو المنعم عليهـم المتفضل عليهم بجزيل الإنعام، فمتى صدوا عنه وأعرضـوا عن عبادته فقد كفروا بربهم وبدلوا نعمة الله كفـرًا وصرفوا لغيره خالص حقه،لذلك دعا الله العباد إلى عبادتـه وحده لاشريك له، وكرر الأمر بذلك وأبـدى وأعاد في ذلك وضرب لهم الأمثلة، وبَكَّت أولـئك المشركين وبين حـال ما عبدوه من دون الله وأنها مخلوقـة مثلهم ولاتملك لأنفسهـا شيئا فضلاً عن عـابديها كما وصف نفسـه عز وجل بصفـات الكمال ونعوت الجلال التي تتضمن إحاطته با لمخلوقات، وعلمه بـالأول والآخر وسمعه وبصره المحيط بالقاصي والداني، وكل وصف يقتضي عظمته وكبريـاءه وقر به مـن العباد، ووصف نفسـه بالأولية والبقـاء والدوام والفضل والإنعـام ونحو ذلك ممـا يستلزم خضوع العبـاد له، و إنـابتهم إليـه و إخلاص الديـن له، ولما كـانت العبادة مجملـة لا دخل للعقـل في معرفـة مفرداتها وأمثلتها تضمـن شرع الله ورسالة رسـوله بيانها و إيضاح أنـواعها فبين لهم العبادات البـدنية كالصـلاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف في المساجـد ونحوها وشرح لهم جميع متعلقاتها وأركانها وشروطهـا وصفاتها التي تكون بها مجزئة تبرأ بها الذمـة وتسلم مـن العهدة، كما بين لهم النوافـل منها، ورغبهم في الإكثـار من القـربات التي يترتـب عليها جـزيل الثواب، وهكذا حثهم على العبادات القوليـة؛ فأمرهم بذكره ودعائه تضرعًا وخُفية، وبتلاوة كتـابه، وبالدعوة إلى دينه، كما أمر بأداء العبادات المالية، فأخبرهم بما يجب عليهم في أموالهم من زكاة ونذر وصدقة ونفقة، وبما لهم من الثواب إذا تبرعوا له بشيء من أموالهم فـأنفقوه في سبيله، وهكذا أوضح لهم سائر القربات التـي هي حقه على العباد، وبها يتحقق وصفهم بـالعبودية له وحـده. ولم يقتصر على هذا القدر مـن البيان بل تطـرق إلى أمورهم المالية الأخـرى، وأوضح لهم وجوه المكاسـب ومداخل الأموال، ومايحل منها ومـا لا يحل وحرم عليهم الكثير من المعامـلات التي تحتوى على ضرر بالغير،من مكر ورشوة وربا وغش وسرقة ونهب وغصب إلـخ.. وأباح لهم سائر المكاسب التي لا شبهة في حلها وهكذا تطرق إلى بقيـة الأحكام المالية فـأوضح ما يحل منهـا وما لا يحل ولم يقف البيـان الشرعي عند هـذا الحد، بل بين الله في رسـالـة رسولـه ﷺ أحكـام العقـود التـي لها صلة بـالغير مـن المسلمين أو غيرهـم كعقـد الـذمة والأمـان والصلـح والمعاهدات. وعقـد النكاح وملك اليمين ومايتصـل بذلك للحاجـة الضرورية في هذه الحياة إلى أمثـال ذلك، وهكذا أيضا شرع الحدود والعقوبات البدنية والمالية لما لها من الآثار الملموسة في استتباب الأمن واستقرار الحياة، فلما كان من طبع الإنسان -إلا من عصم الله- الميل إلى الشهوات والملذات ولو محرمة أو إلى الأشر والبطر أو إلى الظلم والاعتداء أو إلى السلب والنهب والسرقة والاختلاس ونحو ذلك فلو ترك هـؤلاء وميولهم لاختـل الأمن وعُدمت الطمأنينة في الحياة وانتشرت الفوضى، وأصبـح الضعيف نهبة للقوي، وسيطر الظلمـة الطغاة على البلاد والعباد، وأعلنوا كفـرهـم وبغيهم وفجورهـم، بدون خوف أو مبـالاة، فكان من حكمـة الرب جل وعلا أن شرع مـن الزواجر والعقـوبات مايقمـع أهل الشرور والمعاصي، فمن ارتد عن دينه وكفر بعد إسلامه لم يقـر على ذلك بل حده القتل بكل حال إن لم يتب عن ردته، ومن تعـاطى السحـر أو الشعوذة أو عمـل الكهانة ونحـو ذلك شرع قتلـه قبل أن يستشري فسـاده في البلاد ممـا ينافي حكمة الـرب تعالى، ومـن بغى على إمـام المسلمين وخرج عـن طاعته وفـارق جماعة المسلمين لـزم قتالـه بعد الـدعوة

والمراجعة وبيان أنه إن مات كذلك مات ميتة جاهلية، كما أمر عز وجل بالصلح بين الطائفتين المقتتلتين وقتال الباغية منهما حتى تفيء إلى أمر الله، وأخبر أنهم مع هذا التقاتل لم يخرجوا عن الأُخوة الايمانية، وهكذا كتب القصاص كما في قوله تعالى ﴿يٰأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾[1] كما كتبه على أهل التوراة في النفس فما دونها، قال تعالى ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأُذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾[2] وبين الحكمة والمصلحة في شرعية ذلك كما في قوله تعالى ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾[3] فأخبر أن في شرعية القصاص حفظ النفوس حيث إن القاتل متى تذكر أنه سيقتل أحجم وارتدع عن القتل فتقل هذه الجريمة ويحصل الأمن على الحياة، وهذا هو السر أيضا في شرعية الجزاء الرادع للمحاربين لله ورسوله الذين يسعون في الأرض فسادًا وهم الذين يقطعون الطريق ويعترضون سابلة المسلمين في الأسفار لأخذ الأموال أو هتك الأعراض ونيل الشهوات المحظورة شرعًا قال الله تعالى ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾[4] وكل ذلك للحفاظ على أرواح الأبرياء والابقاء على نفوسهم ليهنئوا بالعيش وتقر أعينهم في هذه الحياة ويبعد عنهم كل ما يكدر صفو عيشهم وأمنهم واستقرارهم، فمن ثم يتفرغون للعلم والعمل والتفقه فيما يلزمهم لربهم من الحقوق والعبادات وليقوموا بالواجبات فيما بينهم. وهكذا أيضا تضمنت الشريعة الإسلامية الزجر الشديد عن جرائم الذنوب وكبائر الفواحش كالزنا وشرب الخمر وقذف الأبرياء المحصنين وسرقة الأموال ونحو ذلك فإن جريمة الزنا فاحشة كبرى وفعلة شنعاء تستبشعها النفوس الأبية،وتنفر منها الطباع السليمة الرفيعة، لما فيها من انتهاك الحرمات، وإفساد الفرش واختلاط الأنساب وتفكك الأسر ويسبب ميل الزوجة عن زوجها إلى الأخدان الخائنين في السر، والتقصير في حق الزوج وفي إصلاح بيتها وتربية أطفالها ورعايتها لمن استرعاها الله من أهل بيتها ونحو ذلك من الفساد، ومثل ذلك وأعظم يقع في حق الزوج متى وقع في تعاطي هذه الفاحشة النكراء، فلا جرم أن كانت عقوبة الزنا في هذه الشريعة أعظم من غيرها حيث شرع رجم الزاني أو الزانية مع الإحصان بالحجارة حتى الموت ليتم الزجر والقمع لتلك النفوس المريضة بالشهوة البهيمية ، وخص المحصن بالرجم حيث إنه قد كفر النعمة وعدل عن الحلال وتعاطى الحرام برغم ما فيه من إفساد فرش الناس وتعريض زوجته للعهر والميل إلى فعل هذه الفاحشة مع غيره ونحو ذلك من المفاسد بخلاف غير المحصن فإن عقوبته الجلد والتغريب وهي دون الرجم بالحجارة لخفة ذنبه بالنسبة للمحصن لقوة الغلمة والشهوة التي قد تغلبه فيضعف إيمانه وتصديقه بالوعيد عن قمعها فتعرض نفسه الأمارة بالسوء فيقع في هذه الجريمة، وهكذا أيضا عاقب الذين يرمون المحصنات عقوبة شديدة في الدنيا والآخرة فقال عز وجل ﴿وَالَّذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾[5] وهَذِهِ عقوبات عاجلة وقال تعالى عن عقوبتهم الآجلة ﴿إنَّ الذين

---

(١) سورة البقرة: آية ١٧٨.
(٢) سورة المائدة: آية ٤٥.
(٣) سورة البقرة: آية ١٧٩.
(٤) سورة المائدة: آية ٣٣.
(٥) سورة النور: آية ٤.

يرمـون المحصنات الغافـلات المؤمنات لعنوا في الـدنيا والآخرة ولهم عـذاب عظيم﴾[1] الآيات، ذلـك أن مقتر في هذا الفعل والذنب الكبير يقدحون في الأنساب وينتهكون الأعراض البريئة، وينشرون لأولئك الأبرياء سمعة سيئة تقشعر منها الجلود، وتنكس منهـا الرؤوس حياءً وخجلاً مع بعدهم عـن تلك الجرائم المزعومة ونزاهتهم عـن اقترافها فكانت عقـوبة مـن قذفهـم بها الجلد ورد الشهـادة ، والحكـم عليهم بـالفسق الـذي هـو الخروج عن العـدالة والطـاعة مـع استحقاقهم للعن وهو الطرد ، والإبعاد عن رحمة الله، وللعذاب العظيـم في الدار الآخرة، ومن ذلك مما يكون زاجرًا لهم عن الكذب والافتراء على المؤمنين والاستهتـار والهتك للأعراض فيـأمن الناس ويطمئنون في حيـاتهم وتتم بينهم المودة والإخاء وتزول العداوة والشحناء، ممـا يكون سببًا للتقاطع والتدابر والتهاجر الذي جـاء الشرع بالنهي عنه وتحريمه، لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة من اختلال الأمن، ووقـوع الفتن، وتسلط الأعداء ونحو ذلك، وكما شرع تعالى عقوبةً وحدًّا مـانعًا لمن تعاطـى شرب المسكرات بعـدأن أوضح تحريم الخمـر وما فيها مـن المفاسـد فقرنها بالأنصـاب وهي الأصنام وأخبر بأنها رجس أي نجس وقذر حسِّي أو معنوي وأنها من عمل الشيطان فهو الذي يزينها ويدعو إلى الوقوع فيها ويوقع بسببها بين المسلمين العداوة والبغضاء ويصدهم بتعاطيهـا عن ذكر الله وعن الصلاة رغم ما فيها من إزالة العقل الذي هـو ميزة الإنسان وفضيلته، فبـزواله يكون دون البهائم والسفهـاء، ويتصرف تصرف المجانين والمعتوهين، فيهلك الحرث والنسـل ويضر بالأنفس والأمـوال والأهل والأولاد، وما إلى ذلـك من المفـاسد الكبرى التي تنتـج عن تعاطي المسكرات والمخدرات، ولا يقتصر ضررها على الجاني وحده؛ بل يلحـق بالمجتمع أجمع إلا ما شاء الله، فلا جرم أن جرمه جـاء في السُّنة جلد شارب الخمـر بما يزجره كأربعين جلـدة أو ثمانين إن لم ينزجر بالأربعين بـل ثبت في السنة الأمر بقتله إذا أدمن ذلك ولم ينزجر بتكرار الجلد؛ ففي هذه العقـوبات والوعيد الشديد عليها ما يكفي في الكفِّ عنها وما يحفـظ للعقول سلامتهـا ويبقي بـذلك على سلامـة التفكير؛ يكفل للأمـة أمنها ورخـاءها وسلامتهـا من الأضرار والشرور الوخيمة والإبقاء على عقول البشر لتصرف تفكيرها فيما يعود عليهـا وعلى غيرها بكامل الخير والمصلحة وذلك أكبر مثال على كمال هذه الشريعة وتضمنها لمصـالح العباد، وهكذا أيضًا شرع عقوبة السارق بقـوله تعالى ﴿والسارق والسارقـة فاقطعوا أيـديهما جزاء بما كسبا نكـالاً من الله والله عزيـز حكيم﴾[2] ذلك أن السارق يهتـك الأستار والحروز ويكسر الأقفال ويتسلق الحيطـان، ويصعب التحصن والتحرز من شره وضرره، فكـانت عقوبته قطع يـده، تلك اليد الآثمة المتعدية الظالمة حيث أن جنـايته تتوقف على العمل باليد غالبًا فكان بقاء هـذا العضو المعتدي مما ينشر الوباء ويخل بالأمن والاطمئنان على الأموال المحترمة التي لها وقع في النفوس فـأخذها عدوانا وظلما مما يوقع الخوف والقلق في القلـوب؛فشرع إزالـة هـذا العضـو الـذي ينشر الوبـاء والمرض العضـال بين النـاس، وكما اشتمـل الشرع على هـذه العقوبات والزواجر التي يحصل بتطبيقها كمال الأمن ورخاء العيش، فقد شرع عقوبات أخرى غير مقدرة بعدد أو نوع تسمى تعزيرًا وتأديبًـا يعاقب بها من اقترف ذنبًا أو ارتكب كبيرةً لا حد فيها، مما يتعلـق بالأديان أو الأبدان أو الأموال، وتتفاوت تلك العقوبات بتفـاوت الجرائم والمجرمين، وكل هذه العقوبـات ـ مقدرة أو غير مقـدرة ـ تتضح فيها حكمة

---

(١) سورة النورة : آية ٢٣.
(٢) سورة المائدة: آية ٣٨.

الشرع الشريف ويتضح لكل ذي قلب سليم أنه دين سماوي جاء بتحصيل المصالح وتكميلها وإلغاء المفاسد وتقليلها. كما أنه أيضا تعرض لشرح الآداب والأخلاق الرفيعة وحثَّ على الاتصاف بالسمات الشريفة التى فطرت القلوب على استحسانها وحب من تخلق بها والنفور من أضدادها ومقت أهلها وبغضهم والبعد عنهم، فإن الله تعالى فطر الخلق على استحسان السمات الطيبة التي وجدت أو بعضها قبل الإسلام كأغلب خصال الفطرة التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة وانتقاص الماء... إلخ» [1] وفي الباب أحاديث كثيرة بهذا المعنى وهذه الخصال يستسيغها العقل السليم ويشهد بملاءمتها له لذلك يحافظ العقلاء على تطبيقها، وإنما يخالفها من انتكست فطرته فاستقبح الحسن واستلذ القبيح فلا عبرة بهذا الضرب من الناس ولو كثروا أو زعموا المعرفة والإدراك، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وبالجملة فإن احتواء الشريعة الإسلامية على هذه الخصال يفيد كمالها وانتظامها لكل ما يستحسن عقلاً وشرعًا ولكل ما تتوقف عليه الحياة الطيبة في هذه الدار، كما أن الشريعة لم تتوقف على تبيين العبادات والقربات كما قد يظن ذلك الكثير من الناس؛ بل تعرضت لإيضاح الأمور العادية وأوضحت الصفة الكاملة لاستعمالها، ففي باب الأكل تعرض الشرع لبيان الهيئة المحمودة في ذلك؛ فنهى عن الاتكاء حال الأكل كفعل من يريد الامتلاء من الطعام، وشرع الأكل باليمين تفاؤلاً باليمن والبركة، وبالغ في النهي عن الأكل بالشمال تشبهًا بالشيطان وأعوانه، كما جاء بالأكل بثلاثة أصابع إلا لضرورة. فإن الأكل باليد كلها قد يوجب ترادف الطعام على مجراه فربما أفسده وسبب الموت فجأة، وذلك من باب رعاية نعم الله وإحسان جوارها، وهكذا شرع أن يأكل كل فرد مما يليه ونهى عن الأكل من وسط الصحفة، وعلل ذلك بأن البركة تنزل وسط الطعام، كما أمر بالاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه وحمده بعد الشبع، ونحوذلك مما فيه تذكير بعظيم منة الله في تيسيره لأسباب ذلك، ومما يسبب مع الصدق حلول البركة فيه حالاً ومآلاً، وهكذا جاء بآداب الشُّرْبِ المتضمنة لِجَمِّ فوائده والمستحسنة عقلاً وشرعًا، فنهى عن التنفس في الشراب والنفخ في الطعام كراهة أن يصحبه شيء من الريق فيقذره على غيره ، وأمر بالتنفس ثلاثًا خارج الإناء، وبمص الشرب دون العب بقوة، وعلل ذلك بأنه أهنأ وأبرأ و تعرض للأواني التي لا يباح استعمالها في الأكل والشرب كآنية الذهب والفضة وتوعد متعاطيها أشد الوعيد لما فيها من الفخر والخيلاء والإسراف وكسر قلوب الفقراء، وهكذا شرع لأمة آداب التخلي [2] وإن كانت مما يحتشم من ذكره، ومن الأشياء التي تلزم الإنسان بحكم العادة ولكن لها آداب وأحكام تدخل بها في عموم الشريعة الإسلامية، وكذا آداب اللبس والخلع فجاء باستحباب لبس البياض من الثياب وأباح غيرها إلا ما استثنى، وأحب لباس القمص ولبس غيره من الأزر والأردية والسراويلات ونحوها، ونهى عن الخيلاء والإسبال في الثياب وبالغ في الوعيد على أهل الخيلاء والترفع على الناس، وأحب أن يرى الله آثار نعمته على عبده في اللباس ونحوه، ونهى عن المشي في نعل واحدة، وحث على التيامن في لباس الثوب والنعل ونحو ذلك وحرم أنواعًا من اللباس كالحرير لما فيها من الإسراف والتبذير، وتعجل الطيبات في الدنيا،

---

(١) أخرجه مسلم ربك(٢٦١) في الطهارة: باب خصال الفطرة عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) أي الآداب المتعلقة بقضاء الحاجة من التبول ونحوه.

وكذلك تدخل الشرع في آداب النوم والجلوس والمشي والسفر وفصل أحكام ذلك وأدخل الجميع في جملة الشريعة الإسلامية. هذا وإن مما يدل على كمال هذه الشريعة اشتمالها على الحث والترغيب في الأخلاق الشريفة والآداب الرفيعة وتنفيره عن أضدادها. فقد رغب في الصدق مع الله ومع عباده فهو السمة العالية التي يحبها كل عاقل من مسلم وكافر ويثق الجمهور بأهل الصدق ويحسنون معاملتهم ومعاشرتهم، كما جاء بالزجر عن الكذب وجعله من سمات أهل النفاق الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. وهكذا أمر بالصبر على أداء العبادات وإن ثقلت على بعض النفوس، وأفاد أن الأجر على قدر النَّصَب، ونهى عن إعطاء النفس ما تميل إليه بمجرد طبعها من الإخلاد إلى الراحة والكسل، وحثَّ على قمع النفوس عن تعاطى المحرمات شرعًا وبيَّن أن صبر النفس عن ميلها إليها فيه ثواب كبير لمن جاهد نفسه وصبر عن تناول ما حرم ربه عليه، كما أن ربنا تعالى جعلنا في هذه الدار عُرضة للأخطار والمصائب ابتلاء منه واختبارًا ليظهر من يرضى ويسلم ويصبر على أقدار الله، ممن يجزع وتضعف نفسه عن تحمل الصبر والاحتساب،فوعد الصابرين بالأجر الكبير والثواب العظيم بخلاف من جزع ودعى بالويل والثبور فإنه مع فوات أجر المصيبة لا يفيده جزعه ولا يرد فائتا. وهكذا جاء الإسلام أيضا بإباحة مُتع الدنيا مع الاقتصاد في ذلك، مما يدل على كماله وتدخله في شؤون الناس ومعاملاتهم لبيان الهيئة الرفيعة من أنواع اكتساب المال وإنفاقه، فحثَّ على الحرف والصناعات واكتساب المال من وجوه المباحة للتعفف عن سؤال الناس، وإظهارُ الفاقة أمامهم مما يضعف النفس ويسقط الهيبة. كما حثَّ على القناعة بما رزق اللهُ العبدَ من ضيقٍ أو سعةٍ، وأخبر بأن الغِنَى غِنَى النفس وأن ما أخذ بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذ بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، وأوضح أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ونحو ذلك من الشيم الرفيعة التي تبعث في النفوس الرضى عن الله في ما وهبه للعبد من سعة أو ضيق ويكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده فلا يستكثر ما قدمه لأخيه وأعطاه لفقير، أو محتاج أو وهبه لابن سبيل ، أو في سبيل الله حيث أيقن بأن ربه يحب منه ذلك وأنه يخلفه له بخير منه عاجلاً أو آجلاً، فهان عليه ما بذله لله من صدقة وصلة رحم وقرى ضيفٍ ووقفٌ على جهة بر ونحو ذلك من صفات أهل الكرم والسخاء، والجود بما في اليد ثقة بالله طواعية له بل أنه قديواسي بما في يده أو يؤثر على نفسه كما وصف الله تعالى حال الذين ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، ولكنه جاء مع ذلك بالحث على الاقتصاد وشدد في ذم المسرفين وأهل التبذير وإفساد المال وإنفاقه في الباطل أو فيما لا فائدة فيه وأخبر بأن المبذرين إخوان الشياطين، والمراد البذل في الحرام أو ما هو ضار قادح في الدين أو التعدي في الإنفاق في الشهوات والملذات فوق الحاجة مما يتضمن الإتلاف للأموال في غير طريقها. وهكذا جاء الشرع الشريف مرغِّبا في حسن المعاملة مع الأفراد والجماعات؛ فحثَّ على اختيار الرفقاء الصالحين، ونفر من قرناء السوء، ورغب في زيارة الإخوان والأنس بهم، وأخبر بأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من صاحب العزلة؛ فإن الأول ينفع الناس ويرشدهم ويتحمل ما ناله في ذات الله من إساءة وضرر، كما أن القصد الأعلى من هذا الاختلاط نصحهم عمومًا، وهدايتهم إلى سبل السلام،ودلالتهم على كل ما يعود عليهم بمصلحة في دينهم ودنياهم، وإعانتهم على البر والتقوى، وأمرهم بكل معروف ونهيهم عن المنكرات شرعًا وعرفاً، وهكذا جاءت الشريعة بالشفقة على الخلق ورحمتهم وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإذا اشتكى

رأسه اشتكى كله وشبهوا بالبنيان يشد بعضه بعضا، وكـان من آثارذلك قضاءحوائجهم وتفريج كرباتهم، وكل ما فيه جلب الراحة والطمأنينـة لهم، مع الحرص على إزالة الوهن، والتقاطع الذي يحصـل بينهم لتصفو القلوب وتحصل لهم راحة النفس فى هـذه الحياة، وحث على بر من لـه زيادة حق لقرابة أو جوار فـأمر ببر الوالدين وصلـة الأرحام وحسن الجوار وصدق المؤاخاة والشفقة على الأولاد وما يتبع هذا البر والإحسان من نفقـة ومواساة و إيثار وطاعة وخدمة بقدر المستطاع، كما حذر أشد التحذير مـن الإساءة إلى الوالدين وعصيانها، وقطيعة الرحم، بل أخبر بـأن من وصل الرحم وصله الله ومـن قطعها قطعه الله، كما أمـر الإنسان بالصبر على مـا ينالـه من جفوة أقـاربه و إساءتهم، وأخبر بـأن حق الأبوين لا يسقط ببقائهما على الكفر،فأمر بصحبتهما بـا لمعروف، ولكنه نهى عن التنزل على رغبتهما في الرجوع إلى الشرك فإنه لا طـاعة لمخلوق في معصية الخالق، وجعل العقـوق في المرتبة التي تلي الشرك بالله وألحق به مـن يتسبب إلى جلب الشتم والمسبـة لأبويه ، وأخبر بأن الـرحمة لا تنزل على قوم فيهـم قاطع رحـم، وحذر من التهاجـر بين المسلمين لأجل الحظوظ الدنيوية، لما ينتج عنه من تفرق الكلمة واختلال الأمن وفقدان الثقة بين المسلمين.

و لما كان هناك غالبا أفـراد في المجتمع يستحقون زيادة عطف و إحسان لأسباب خاصـة. فقد جاءت الشريعة الإسلاميـة بالحث على برهـم ورحمتهم والشفقة عليهـم، وحثّهم أنفُسَهم على الـرضا والاستسلام بما قـدره الله لهم،وما أصابهم من نقـص وعاهة كما ورد في الحديث« إن أهل الجنة كـل ضعيف متضعف»[1] وأن عامة من دخـل الجنة هم المساكين وقال[2] ﷺ: « رُبَّ أشعث أغبر ذي طمريـن مدفوع بالأبواب لـو أقسم على الله لأبره» [3] وحث على كفالة اليتيم ورعايتـه والرفق به وعلى مـراعاة المساكين والمستضعفين والتفطن لأحـوالهم والصدقة عليهم وتخفيـف ما يجدونه من ضيق وشدة وهمٍّ وحزن وجعل الجزاء من جنس العمل في ذلك. ففي الحديث « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومـن فرج عن مسلم كربة مـن كرب الدنيا فرج الله عنـه كربة من كرب يوم القيـامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيـامة»[4]، ونهى الله نبيه ﷺ عن طـرد المستضعفين من مجلسه وأمره بـالصبر معهم في قوله ﴿واصبر نفسـك مع الذين يـدعون ربهم بالغداة والعشي يـريدون وجهه﴾[5]، ولما رأى بعض الصحابـة ـ رضوان الله عليهـم ـ أن له فضلا على من دونه قال له النبي ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»[6]، وكل هذه الخصال من شعائرالإسلام.

ومما يدل على كمال الإسلام واشتماله على كل مصلحة وخير ونفـع للأفراد والجماعات، أن الشرع الشريف حث على الشيم والأخلاق النبيلـة التي تعترف العقول بمعرفتهـا وتشهد بحسنها وحسن آثـارها وما لها من الأثـر الفعال في النفوس مما يـوافق مقصد الشريعة، وكما أمر بـالتواضع ولين الجانب سيما مع الضعفـاء والخاملين والمساكين،ونهى عن ضد ذلـك من التكبر والتجبر واحتقار المسلمين وازدراءهم، ومـن الإعجاب بالنفس والترفـع على الخلق، وفسر الكبر

---

(١) رواه البخاري ربم (٤٩٢١٨) في تفسير سورة ن والقلم، ومسلـم رقم (٢٨٥٣) في صفة الجنة ـ: باب النار يدخلهـا الجبارون عن حارثة بن وهب رضي الله عنه.

(٢) كما رواه مسلم في صفة الجنة باب النار يدخلها الجبارون عن أبي سعيد ورواه البخاري ومسلم في الرقاق عن أسامة بن زيد.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة ـ باب فضل الضعفاء عن أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري في المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ومسلم في البر والصلة والترمذي في الحدود عن ابن عمر.

(٥) سورة الكهف : آية ٢٨.

(٦) رواه البخاري في الجهاد ـ باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب عن مصعب بن سعد قال : رأى سعد أن له فضلا ... إلخ.

بأنه بطر الحق وغمط النـاس، فإن الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمـي إلا بالتقوى، كما في قوله تعالى ﴿إن أكرمكم عنـد الله أتقاكم﴾[1]، وكما في الحديث «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتـى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»[2] بل أخبر بأن التواضع لعبـاد الله سبب للرفعة وعلو الرتبة عند الله وعنـد الناس وقال« حق على الله أن لا يرتفع شيئ من الـدنيا إلا وضعه»[3]. فهذه إشارة إلى كمال الشريعـة وإلى ما اشتملت عليه مـن الخصال الحميـدة والأخلاق والآداب الـرفيعة التـي تسمو بمـن تخلّق بها إلى أرفـع المنـازل وما حـذرت منه هـذه الشريعة مـن الأخلاق الدنيئـة الذميمة، التي تدنـس الأعراض وتوقع في العار والشنار، ولقـد أكثر العلماء قديماً وحديثًا مـن الكتابة حول خصال الإيمان والـدين التي تجب أو تستحب، وسموهـا آدابا شرعية وخصالا دينية، وأدخلـوا في ذلك العادات القديمة التي أقرها الإسلام أو أثنى على فعلها كـالجود والكرم والصدق والوفاء والبر والصلة والسلام والتحية والتراحم والتعاطف والتزاور ونحوها، وقد توسع في ذلك ابن عقيل الحنبلي في كتابه المسمى بالفنون، حيث جمع فيه ما أدركه من فنون العلـم بجميع أنواعـه ولكنه لم يوجد كـاملا، وقد ألـف الكثير من الأئمة في الأخـلاق والآداب، وشعب الإيمان، وهكذا كتبـوا في الخصال المذمومة وكبـائر الذنوب وأنواع المعـاصي والمحرمات، وكل مـن ألف في ذلك فإنما كتـب ما يناسبـه ولكل مجتهـد نصيب. ولا شـك أن شريعة الإسلام قـد تضمنت كـل ما تمس إليـه الحاجة البشريـة، وأن جميع الخصال التي تهدف إليها يعرف عنـد التأمل ملاءمتها ومناسبتها، ولذلـك يحتاج إلى الاستقصاء في جمع أنواع العبادة، وما ورد الأمر به مـن القربات، وما نهى عنه مما يخالـف أهداف تلك الخصال، وذكر أدلتها مـن الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، مع ذكر معانيها ونتائجها مما يفيد المسلم وطالب الحق علما وسعة اطلاع.

هذا وقد اطلعت على مقدمـة هذه الموسوعة الكبيرة التي احتوت على ما أمكن جمعـه من أنواع القربات وأسماء العبـادات، وأسماء ما يضـادها ومـا ينهى عنـه، وأعجبت كثيرا حيـث استـوعبت مـا أمكن إيـراده من خصـال الخير والأخلاق والقربات، وكل ما ورد له ذكر في الشريعة من تلـك الأسماء التي استعملها الرسول ﷺ بوحي من ربه، وبين المراد بها وفائدتها وأثرهـا، وحيث رتبت على الحروف ترتيبا محكما لا خلل فيـه ولا خطأ، وبدئ بالتعريـف لكل خصلة بذكر معنـاها اللغوي والشرعي، وبيـان ما يدخل فيهـا شرعا وما تتضمنه، ثـم بذكر الآيات التـي وردت فيها لفظا أو معنًى، وكذا ذكـر الأحاديث المرفوعة مع تخريجهـا بدقة واستيفاء، مع ذكـر مواضع تلك الأدلة ومراجعهـا، وهكذا ذِكر الآثار الواردة في مـدح تلك الخصلة وفائدة العمـل بها أو تركها ومضرة المخالفـة فيها وما إلى ذلك ممـا يجده القارئ في هذه الموسوعة، ولا شك أنه جهد كبير وعمل واسع، يستـدعي بذل الوسع، والحرص على الاستقصاء، ولذلك استغرق الجمع والبذل والكتـابة فيها وقتا طـويلا رغم توافـر الجهود، وكثرة الباحثين، حتـى أنتجوا هذا العمل المشكـور الذي يرجى نفعه إن شاء الله للمبتـدئ والمحتذي، والراعي والرعية، والفرد والمجتمع، حيث يجد الطـالـب فيها بغيته، ويعثر على مطلبه بأيسر الوسائل وفي أسرع وقت، فيستفيد في نفسه ويتزود من العلم النافع ما يكون زادا له في دار الدنيا ويوم

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٣.

(٢) رواه مسلم في الجنة باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار عن عياض بن حمار المجاشعي.

(٣) رواه أبو داود في الأدب باب في كراهة الرفعة في الأمور عن أنس.

المعاد، فإن بَحَثَ عن العبادات والقربات وجد طلبته، فيجد في باب العقيدة الإيمان والإخلاص والاعتصام والإسلام والإحسان والتوكل والخوف ونحوها، ويجد أنواع التوحيد كالدعاء والرجاء والاستعانة والإنابة، والتوبة والاستغفار وما أشبهها، ويجد من الأعمال الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وما يلحق بها، وهكذا ما يتعلق بحقوق العباد كالبر والصلة والصدق والسخاء وأشباه ذلك، وهكذا إن أَحَبَّ معرفة المحرمات والمنكرات كالشرك والقتل والزنا والسرقة والكذب والربا والإلحاد والبغي والكبر وما يلحق بها، فجزى الله من فكر في جمع هذه الموسوعة أحسن الجزاء، فلقد أراحوا طالب الاستفادة من كثرة العناء في البحث والتنقيب في أمهات كتب الأحكام، و كتب الفضائل وكتب الآداب، وكتب الأوامر والنواهي والزواجر ونحوها، وأحالوا القارئَ إلى الأماكن التي توسع مؤلفوها في تلك المسائل بإيراد النقول والآثار والعلل والأحكام والمنافع والمضار، فنوصي طالب العلم بالحرص على اقتناء مثل هذه الموسوعة الطيبة المباركة، ومراجعتها عند الحاجة والاستفادة منها، وشغل أوقات الفراغ بمطالعة ما تيسر من الأبواب والمسائل، فهي مرجع أساسي للدعاة والمصلحين، والخطباء والوعاظ، والمفتين والقضاة واللغويين وغيرهم، ولا شك أن الفائدة كبيرة حيث يتزود هؤلاء من الآيات القرآنية التي تتعلق بذلك الموضع ولو بالمعنى، وكذا الأحاديث النبوية والآثار والنقول والفوائد فالمطالع لتلك المسائل لابد أن يكون لديه حصيلة وافرة يظهر أثرها في أعماله وأقواله، ويتعدى ذلك إلى ولده وجليسه، ويزداد دائما علما وفهما، ومع ذلك فلا بد من حسن المقصد، وإصلاح النية في القراءة والاستفادة والإرشاد والتعليم،فبذلك تكون الجهود مفيدة والأعمال مقبولة، هذا وإني أشكر الأخ عبدالرحمن بن محمد بن ملوح الذي أتاح الفرصة لكتابة هذه الصفات في مقدمة هذه الموسوعة مع اعترافي بالقصور والضعف في الإنتاج، ولكن ذلك من باب المساهمة في فعل الخير، وأعرف باطلاعي على هذه الموسوعة ما وصل إليه الأخ عبدالرحمن ومن ساعده في إبراز هذا الجهد، وما هو متمتع به من الفكر والإدراك، والغوص على درر المعاني وإبراز المعلومات، ومعالجة الأمور التي تمس إليها الحاجة، ويحصل منها النفع العام للصغير والكبير والذكر والأنثى، في زمن كثرت فيه العوائق وانشغل الأبوان بشؤون الحياة، وأكب الجهال والعوام على الملهيات والخرافات واستصعبوا نيل المعلومات ، وإخراج المسائل، وتحصيل الفوائد، ولعل في شغلهم بهذه العلوم النافعة ما يكون منبها لهم إلى الرجوع قليلا حتى يعرفوا ويتصوروا ما بذله الأولون من جهود جبارة في رصد العلوم وتدوينها، وتقريبها وتهذيبها وأنهم حازوا قصب السبق، فيقبلوا على العلم والاستفادة، ويتبعوا العلم بالعمل الصالح، فهو الثمرة والنتيجة المطلوبة، والله الموفق والمعين، ونسأله سبحانه أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، ويرزقنا جميعا الفهم عنه والإخلاص له في الأقوال والأعمال، ونسأله أن يمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا ويصلح أحوال المسلمين، ويولي عليهم خيارهم، ويعز الإسلام والمسلمين، ويذل الكفر وأهله إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١٠/ ١١/ ١٤١٦هـ.

كتبه

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقا

المنهج العلمي للموسوعة

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياتـه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفـي ضلال مبين ، أرسله على حين فترة من الـرسل وحاجة مـن البشر ، بعثه بالدلائل الـواضحة والحجج القاطعة والبراهين الساطعة . أيقـظ به العقول من سباتها وصرف به النفوس عن أهوائهـا فكان ﷺ بإذن ربه مصدر خير ومبعث نور وشمس هداية ، بلَّـغَ الرسالة وأدّى الأمانة ودعا إلى الحق ، فصلوات الله وسلامه وبـركاته عليه حيًّا وميتًـا أفضل صـلاة وأطيـب سلام وأزكـى بـركة . نشر الله محبتـه ورفـع في أعلى عليين درجته وصلى ورضي على آلـه وأصحابه وورثة هـديه من العلماء العاملين والدعاة المصلحين الـذين فقهوا دين الله وأدركوا مراميـه وفهموا مقاصده واستنوا بهديه وعملوا بـأحكامه ودعوا إليه بالحكمـة والموعظة الحسنة وبذلوا أنفسهم ونفيسهـم فهدى الله بهم العباد وفتح على أيديهم البلاد .

أما بعد فإن أولى ما اختاره الإنسان لنفسه بعد إيمانه بربـه أن يكون مرتاضًا بمكارم الأخلاق ومحاسنها متجافيًا عن سيئها متنـزهًا عن سفسافهـا آخذًا في جميع الأحوال بـالفضائل، عادلًا في كل أفعـاله عن طرق الـرذائل ، يجعل مقصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعـايب ، ويصرف همته إلى اقتناء كل خيم[1] كريم خالص من الشوائب ، يبذل جهده في تجنب كل خصلة رديئة ويستفرغ وسعه في إطـراح كل خلة ذميمة ، فيحوز الكمال بتهذيب خلائقه ، ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله .

وإن المبتديء في تطلـب هذه المرتبة والراغـب في بلوغ هذه المنـزلة ربما خفيت عليه الخلال المستحسنـة التي يعنيه تحريها وقد تلتبس عليه الصفات المستقبحة التي غرضه توقيها .

ويزداد الغمـوض ويغلظ اللبس في هـذه العصور المتـأخرة التي تعيـش الأمم في أغلبها حيـاة ماديـة مظلمة يتنكرون فيهـا للدين ويسخـرون من القيم ، ابتلوا فيـه بما ينهك الروح ويـرهق الأعصاب ، إيغـال في التقدم المادي مظلم وحضارة عند العقـلاء حمقاء ، انفلت فيها زمام العقل والخلـق ، وطغت في جنباتها ظلمات الإلحاد وإنطفأ في

---

(١) خيم : خُلق ووصف .

أرجائها نور الإيمان وانحسرت القيم الخلقية فلم يُعَدْ لها في موازين الناس حساب .

من المؤسف حقًّا أن تكون هذه هي الصورة في أغلب مجتمعات اليوم وشعوبه إلا ما رحم ربنا .

ولكن الإسلام دين الله الحق - قرآنًا وسنة - قد جعل لمهمة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس واكتساب الفضائل مكانة كبرى ورتبة عليا ومقامًا ساميًا .

ولابد في هذه المقدمة من وقفات مع الإسلام ونبي الإسلام ، نوضح فيها هذا المقصد من خلال النظرة القرآنية ومقاصد البعثة المحمدية .

إن من حق قرآننا علينا أن نتدبر معانيه وأن نفهم مقاصده . ففيه ما يدل على هذه الأخلاق وتهذيبها ويرشد إلى الآداب الإسلامية واكتسابها ، فهي أمور محكمة وآداب لكل خير جامعة .

ذلك أن القرآن هو كتاب الله الخالد ومعجزة رسوله الباقية ونعمته السابغة وحجته الدامغة وهو ينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر وبحر لا يدرك غوره ولا تنفد درره ولا تفنى عجائبه ولا تقلع عن الغيث المدرار سحائبه ولا تنقضي آياته . أنزله ربنا لنقرأه تدبرًا ونتأمله تبصرًا ونسعد به تذكرًا ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه ونجتهد في إقامة أوامره ونواهيه وكلما ازدادت البصائر فيه تأملًا زادها هداية وتبصرًا . أنزله ربنا وصرَّفه وعدًا ووعيدًا وأمرًا ونهيًا وترغيبًا وترهيبًا وتشريفًا وسياسة وحكمة وعلمًا ورحمة وعدلًا واشتمل على أصول العقائد وقواعد الأحكام ودعائم الأخلاق .

وهذه إشارة لنموذج قرآني من حشد الوصايا الأخلاقية حثًّا على المحمود وتنفيرًا من المذموم انتظمت في سورة واحدة وسياق متتابع ، يقول سبحانه : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إمَّا يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا * ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورًا *وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا * وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولًا ميسورًا* ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورًا * إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا * ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئًا كبيرا * ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلًا * ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قُتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يُسرف في القتل إنه كان منصورًا * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولًا * وأَوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلًا * ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر

والفؤاد كـل أولئك كان عنه مسئـولًا * ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لـن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طـولًا * كل ذلك كان سيئـه عند ربك مكروهًا * ذلـك مما أوحى إليك ربـك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلـٰـها آخر فتُلقى في جهنم ملومًا مدحورًا ﴾[1] .

إن المتأمـل في هذه الآيـات القرآنية يـدرك غاية القـرآن وتركيـزه الشديد على بنـاء الشخصية الإسـلامية على أساس مـن القيم الأخلاقيـة الرفيعة تركيـزًا يبتديء من تصحيـح العقائد وتطهير النفوس مـن درن الشرك والجاهلية والتحلي بالعلم الصحيح وتنظيم العلائق الإجتماعية والهداية إلى السداد من القول والعمل .

وهكذا يتجلى القـرآن العظيم إرشادًا لمحجة وتبصره لعبرة وتـذكرة لمعرفـة وإرشادًا من غي وبصيرة مـن عمى وحثًا على تقى وحياة للقلب وغذاءًا للروح ودواءًا وشفاءًا وعصمة ونجاة .

نعم إن إدامة النظر وإطـالة التدبر في هذا القرآن العظيم تطلـع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغايتهما وثمراتهما ومـآل أهلها وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطـد أركانه . هذا عن القرآن .

أما نبي الإسلام محمـد ﷺ فمن المعلوم كل العلم أن أي حياة فاضلة لابـد لها من رائد كما أن الأحياء الأتقياء لا غنى لهم عن أسوة وقائد . ومَنْ غير رسول الله ﷺ رائد للحيـاة وقائد للأحياء . إنه الموجه إلى الخير الهادي إلى البر الداعي إلى أكرم طـريق ، هو الرائد الأمين والمبلغ المبين والبشير النذير والسراج المنير . جاء بـالدين الحق والإسلام الخاتم والشريعـة الخالدة لتنظيـم أمر الحيـاة والأحياء إنتظـامًا كـاملًا ولضبـط العلائق فيما بينهـم أفرادًا وجماعـات وحكامًا ومحكومين .

إن الدين الـذي جاء به محمد ﷺ عقيدة إستعـلاء من أخص خصائصها أنها تبعـث في روح المؤمن إحساس العزة من غير كبر وعلو الهمة من غير بطر وروح الثقة في غير إغترار وشعورًا بالأمان والإطمئنان من غير تواكل .

دين يُشعر أتباعه بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم وتبعة الأمانة في الاستقامة على الحق والدعوة إليه في المشارق والمغارب .

لقد جاء محمد ﷺ بديـن الإسلام من عند ربه الذي رضيه وأكمله وأتم به نعمتـه ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾[2] .

وبكماله وتمامه بلغه ﷺ إلى الأحمر والأسود وعلمه أصحابه لتـلاميذهم من التابعين في أرجاء الأرض وأقطارها قرنًا فقرنًا فتلقاه العربي والأعجمي والقريب والبعيد فعـرفوا فيه نظام الحياة المتكامل الجامع بين العدل والرحمة والحق

---

(١) الإسراء : ٢٣ - ٣٩.

(٢) المائدة :٣.

والقوة وعلى دعائمه قامت أعظم قواعد الأخلاق ومباديء السلوك وفي مثل هذا يقول رسول الله ﷺ : «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»[١] .

إن الناظر والدارس لهذا الدين يرى ذلك الفيض الغامر وذلك التراث الثر من التربية والتعليم والإصلاح والتقويم في توجيه واسع وشامل في القول والعمل والفرد والجماعة حتى تحقق وصف الله في نبيه ﷺ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

ولقد طال الأمر على المسلمين واشتد مكر أعدائهم فصار كثير منهم إلى حال من المسخ والتشويه والضعف والهوان في رقعة من الأرض ذات إتساع جغرافي وتكاثر سكاني لكنهم يجهلون كثيرًا من حقائق الإسلام عقيدة وشريعة وأدبًا وخلقًا، يعيشون في أمشاج من الأساطير والخيالات وضعوها لأنفسهم بجهالاتهم وبعدهم عن المصدر الحق ، وقد يكون منها ما وضعه أعداؤهم من أجل المباعدة بينهم وبين الصحيح من الدين . فاستمرؤوا الذل والضعف واستوبؤوا[٢] العزة والقوة ونزلوا عن كرامتهم وشموخهم الإسلامي ليقتاتوا بقوت متعفن من بقايا موائد الحضارة المادية . وهذا ما حاق بهم في أوطانهم فاستعبدتهم أمم لا تُذكر معهم في حساب العد والإحصاء .

وعند النظر والمقارنة بين الواقع والمثال ، الواقع المر والمثال النموذجي الأسوة ولأن المصدر باق محفوظ بحفظ الله . فقد توجهت همة بعض الأفاضل والغيورين للقيام بعمل لعله أن يكون من اللبنات الصالحة التي يقوم عليها إعادة بناء الأمة على المنهج الحق . أنه عمل موسوعي في منهج الأخلاق نظرًا وتطبيقًا . عمل يرجى أن تنعكس نتائجه على ذوي الشأن من المربين والمتعلمين .

عمل حرص على أن يُتخَذ من رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة ، فالمسلمون منذ أن أظلهم الله بظل الإسلام قد شغفوا بجمع كل ما يتصل بنبيهم محمد ﷺ ومكارم أخلاقه وشمائله ثم مضوا يتدارسون هذا الذي جمعوه يفيضون فيه ويستلهمون منه .

وإن متغيرات الحياة وطرائق التفكير المستجدة وتكاثر قنوات المعلومات والمعارف جعلت من العزيز والشاق أن يستفيد طالب الإستفادة من خضم هذا الفيض الغامر . ليخرج بدراسة جامعة منظمة تتسق مع متغيرات العصر وتنظيماته العلمية .

إنها دراسة موسوعية قصد بها توثيق الإتصال بحياة الحبيب المصطفى محمد ﷺ في سيرته والإرتباط بمكارم أخلاقه وتجمع له الشتات المتوزع به شتى المصادر والمراجع .

إنها دراسة شاملة تعني ببيان محمود الأخلاق ومذمومها وتشحذ الهمم نحو سمو أخلاقي يحقق أهدافًا سامية

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) استوبؤوا العزة والقوة : أي عدوهما من الوباء.

لعل فيها طريقًا للنجاة ومسلكًا للخير والسعادة والعزة والقوة .

عمل علمي يرجى أن يسترشد به من كانت له همة سنية تسمو به إلى مباراة أهل الفضل ونفس أبية تنبو به عن مساواة أهل الدناءة والنقص .

وإليك – رعاك الله – بعض التفاصيل عن إعداد هذا العمل وطريقة الإستفادة منه ومراحل تنفيذهھذه الموسوعة:

الموسوعة مصطلح معاصر تعني في مدلولها جمع المعارف في فن معين أو فنون متعددة طبقًا لخطة إخراج خاصة تنتج حصيلة ضخمة من المعلومات بين يدي القاريء متخصصًا أو غير متخصص على حد سواء .

وثمت خطتان غالبتان لتحرير الموسوعات :

إحداهما : تبني أسلوب تجميع المعلومات حسب وحدة الموضوع بحيث تقدم عرضًا شاملاً له .

ثانيهما : إعتماد الحروف الأبجدية ومن ثَمَّ تتوزع المعلومات في خانات وجداول ترتبط بنوع الحرف من غير رعاية لوحدة الموضوع الشاملة .

وقد جرت هذه الموسوعة على الطريق الثاني تمشيًا مع طبيعة غرض هذه الموسوعة وتحقيقًا لغاية الواضعين . وهي في ذات الوقت أسهل لتناول القاريء لمواد الموسوعة .

وفكرة الموسوعة وليدة نظر الأخ عبد الرحمن بن محمد بن ملوح ، الذي عرضها عليّ فتبلورت الفكرة لدينا، وأخذت مسارها العلمي دراسة وبحثًا ومنهاجًا وتم وضع المنهج الذي سوف يوصف لك لاحقًا .

ولقد مرت الموسوعة في فترة إعدادها بمراحل من الطروحات وألوان من الصعوبات جلبت معها إختلافات في وجهات النظر بين الباحثين في بعض مواقع الدراسة وأساليب البحث ومعالم المنهج ولكنها مع الزمن والخبرة انصهرت لتتبلور في المنهج الذي تراه بين يديك . وما كان ذلك إلا بتوفيق الله أولا ثم الإخلاص وحسن القصد مع إجتماع الإرادة على تقديم عمل نافع للناس وخادم للعلم بإذن الله .

لا سيما إذا علمت – حفظك الله – أن مادتها قد تم استعراضها وقراءتها قراءة متأنية وأعيدت صياغتها أكثر من مرة أمام المشرف والباحثين مجتمعين في جلسات منتظمة . ولا يدّعي مُعدوها أنها بلغت الكمال ، فالكمال لله وحده ولكنها لقيت من العناية والدقة والمتابعة ما يؤكد إحترام القاريء والباحث ، وإن عملًا واسعًا مثل هذا لا يسلم من نقد ونظر بل من إختلاف الأنظار فيه ولكن المرجو ممن يجد خطأ أو يستحسن فكرة أن يبعث بها مشكورًا مثابًا لعله يمكن تلافي النقص ومقاربة التسديد في طبعات قادمة ، ورحم الله من أهدى إلينا عيوبنا .

الغاية والهدف :

الغاية المقصودة والهدف المتوخى من هذا العمل يتمثل في جملة من العناصر أهمها :

١ - الدلالة على معالي الأمور والإرشاد إلى كريم الأخلاق والتوجيه إلى صواب التقدير وحسن التدبير في بناء الإنسان وعمارة الأرض والقيام بمهمة الاستخلاف .

٢ - الاستيعاب قدر الإمكان وحسب الطاقة لأصول الأخلاق ومبادئ المكارم بقصد التذكير والتأسي والمراجعة .

٣ - إبراز لون من ألوان السيرة المحمدية و إظهار الجانب التطبيقي من خلال المأثور من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وجبلته .

٤ - تقريب النصوص والمصادر للمهتمين من العلماء والدعاة والمربين لطريق المنهج الموسوعي حسب ما تقتضيه متطلبات العصر ومتغيراته .

٥ - دعوة العقل الإنساني بعامة إلى ميادين الفكر الفسيحة في ظل الحقيقة الإسلامية الشاهدة من خلالها قيمها الأخلاقية وفضائلها .

أصول البناء في هذه الموسوعة علمًا ومنهجًا :

استغرق العمل في هذه الموسوعة تسع سنين متواصلة وضمت بين صفحاتها وأعمدتها من الصفات ثلاثمائة وإحدى وستين صفة في محمود الأخلاق ومذمومها .

ولقد كانت خطة العمل في هذه الموسوعة طموحة ودقيقة وهي ثمرة مجهودات متضافرة وعمل دؤوب تقبله الله بقبول حسن بمنه . واشتملت الخطة وأصول البناء على الخطوات التالية :

أولاً : مقدمة عامة في الأخلاق: تعريفها - أنواعها - أهميتها في الحياة الإنسانية

ثانيًا : العناية بإبراز علاقات الإنسان بربه وبنفسه وبغيره .

ثالثًا : إبراز الجوانب الأخلاقية في حياة الرسول ﷺ وقد استدعى ذلك الحديث بإختصار عن :

أ - نبذه مختصرة في السيرة النبوية .

ب - إفراد مبحث خاص في فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

رابعًا: إيراد الصفات المحمودة من الأخلاق وضدها من الصفات المذمومة ومحاولة الإستيعاب قدر الطاقة لأصول الألفاظ والمعاني حسبما اقتضتها طبيعة البحث وتوافرت فيه المعلومات ، وهذا العنصر هو المقصود الأعظم من هذه الموسوعة .

وقد سُلك في كتابة الصفات وصياغتها الخطوات التالية :

١ - روعي في الصفات المحمودة والمذمومة ترتيبها على حروف المعجم .

٢ - استوعبت الموسوعة في كل صفة من صفاتها : التعريف اللغوي والاصطلاحي والنص القرآني، والحديث النبوي ، والآثار سواء ما ورد من ذلك باللفظ أوبالمعنى ، وما ورد من أقوال المفسرين ومأثور الحكم شعرًا ونثرًا مما يتعلق بالصفة وملخص لفوائد الصفات المحمودة ومضار المذمومة منها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر صفة «التقوى» مثلًا سوف ترى في مادتها : تعريفًا لغويًّا حيث تم الرجوع إلى كتب اللغة المعتمدة في هذا الشأن مثل الصحاح للجوهري ، وتاج العروس للزبيدي ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والنهاية لابن أثير ، ولسان العرب لابن منظور والمصباح المنير للفيومي ، فضلًا عن كتب المعاصرين ، وأما التعريف الاصطلاحي فيرجع فيه إلى كتب التعريفات مثل تعريفات الجرجاني والتوقيف على مهمات التعريف للمناوي ، إضافة إلى ذلك كتب الشروح والأحكام والسلوك ، ثم بعد التعريف اللغوي الاصطلاحي أورد الباحثون نقولًا تبرز حقيقة التقوى وثمراتها في الدنيا والآخرة ثم تعقب ذلك كله:

- بالآيات القرآنية الواردة بلفظ التقوى .
- الأحاديث النبوية الواردة في التقوى لفظًا .
- الأحاديث النبوية الواردة في التقوى معنى .
- المثل التطبيقي من حياة الرسول ﷺ في التقوى .
- الآثار من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان والتي تحث على التقوى وتبشر بموعود الله للمتقين .
- فوائد التقوى.

هذا بالنسبة للصفات المحمودة ، أما الصفات المذمومة فتصنف وفق التصنيف الأول بإستثناء المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ .

٣ - روعي الإختصار والتركيز في التعريف اللغوي واشتقاقات الكلمة واستعمالاتها .

٤ - روعي عند التعريف لكل صفة ذكر مرادفات هذه الصفة في الهامش وما اشتملت عليه من مباحث - مثال ذلك: من الصفات المذمومة «صفة سوء المعاملة» ستجد في هامشها (المعاملة، سوء المعاشرة، سوء معاملة البهائم)».

٥ - ذكر في بعض الصفات بعد التعريف اللغوي نقول مهمة تزيد من تعريفها وتوضح المراد منها وتبيّن أقسامها وصلتها بغيرها من المواد .

٦ - وضع عناوين جانبية لبعض النقول .

٧ - نظرًا لأن العمل موسوعي ومقصوده تقريب المادة للقارىء والباحث ، فقد حرص معدوا الموسوعة على إيراد النقول كاملة بنصها من مصادرها ولم يتصرفوا فيها إلا بقدر ما يحفظ الإنسجام وترابط المعنى .

٨ - استوعب معدو الموسوعة جميع الآيات القرآنية التي وردت بلفظ الصفة موضوع البحث ثم اكتفوا بإثبات الآيات التي تغطي جوانب الصفة وتتناسب مع حجمها .

٩ - عزو الأحاديث إلى مصادرها من دواوين السنّة المشهورة فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأمره ظاهر ويكتفي به عن العزو إلى غيرهما ما لم يكن اللفظ المستشهد به عند غيرهما وما كان في غير الصحيحين أو أحدهما فقد اعتمد معدو الموسوعة تصحيحات ذوي الشأن والإختصاص من أهل الصنعة الحديثية ، علماً بأنه إذا نقل عن بعض أئمة أهل الصنعة الحديثية مثل الحافظ الهيثمي أو الحافظ المنذري قولهم في حديث رجاله ثقات أو رجاله رجال الصحيح فإن ذلك لا يعني بالضرورة الجزم بصحة الحديث.

١٠ - صنفت الآيات القرآنية وفقًا للمعنى العام الذي تندرج فيه وذلك بالاعتماد على كتب الوجوه والنظائر من ناحية، وكتب التفسير من ناحية أخرى، وقد روعي في كل مجموعة على حدة تسلسل الآيات كما وردت في المصحف الشريف.

١١ - رتبت الأحاديث وفقًا للمنهج العلمي الذي يراعي الأحاديث الواردة باللفظ أولًا ثم الأحاديث الواردة بالمعنى ثانيًا، وأخيرًا الأحاديث الواردة في المثل التطبيقي.

١٢ - قد يرى القاريء أن بعض ما أورد من الأحاديث باللفظ في دلالتها على المطلوب بُعدٌ، غير أننا أوردناه حرصًا على الإستيفاء وإحترامًا لمشاركة القاريء في الفهم .

١٣ - يذكر الحديث الطويل بتمامه عند أول وروده ثم يكتفي بإيراد الشاهد في المواطن الأخرى مع الإحالة إلى الموضوع الأول .

١٤ - الصفة إذا تكاثرت فيها النصوص وتشعبت فيها المعاني مما لا يُقبَل علميًّا ولا منهجيًّا - إستيعاب كل ما ورد فيها فإن الموسوعة اكتفت بإيراد حديث في كل فرع أو شعبة (كالطهارة) مثلاً، فإن من موضوعاتها وتفريعاتها «الاستنجاء - الوضوء - الحيض» مما استوعبته كتب الأحكام .

١٥ - يلاحظ في الاستدلال في النصوص اللفظية على الصفة أن تكون دالة على المراد مدحًا أو ذمًّا .

١٦ - أوردنا في كل صفة النصوص التي تفيد الترغيب والترهيب والثواب والعقاب والتي تظهر الفضائل وتنهى عن الرذائل .

١٧ - بعد ذكر الأحاديث التي وردت باللفظ والمعنى في الصفات المحمودة فقط عقبنا ذلك ببعض الأمثلة التطبيقية من حياة رسول الله ﷺ- إن وجدت - .

١٨ - بيّنا في الهوامش ما ورد في الحديث أو الأثر من الغريب .

١٩ - نقل جميع معلومات الموسوعة بأمانة ودقة حسب الطاقة ، ولم يتم التصرف إلا في أضيق الحدود.

٢٠ - روعي ترتيب الآثار حسب وفيات من نُسبت إليهم .

الخاتمـــة

وفي الختام وبعد أن استوى هذا العمل على سوقه ، لعلك سـوف تجد نفسك قارءنا الكريم أمام صورة مشرقة تعكس أصالة ذلـك التراث العظيم وتوضح في جلاء أن الشريعة الإسـلامية حفلت بقيم خلقية عاليـة كان لها شأن بعيد وأثر حميد في تربية النفوس وإصلاحها وتقويم الأخلاق وتهذيبها .

لذا كـان لزامًا على حملة شريعـة الإسلام أن يدرسوا الحيـاة العالمية وأن يعـدوا أنفسهم لهذه الدراسة الـواسعة العميقة ليتعرفوا على مشكلاتها وأسبابها ، وما جد فيها، وعليهم أن يقومـوا بالتوجيه الصالح الرشيد بعرض مبادىء الإسلام عرضًا جـذابًا ، وحمل رسالة الحق والخير وتأديتها إلى النـاس كافة أداءًا رغيبًا صالحًا ، يدفـع دعوة الإسلام إلى الآفاق الـرحبة ويبين سماحتها وسمو مقـاصدها ، وهذا واجـب كل مؤمن بعـامة ، وواجب العلماء بخاصـة ، فإذا نهض للقيام بهذا الواجب طائفة فقهت الإسلام وشرائعه . ودارسوا الإسلام مطالبون أشد المطالبة بالقيام بعمل جاد قوي حتـى تتاح الفرصة مـن جديد أمـا العقل الإسلامـي الحائر لفهم الإسلام فهمًا صحيحًا ، يعـم مشارق الأرض ومغاربها بروح سمح «حنيفي» يقدر الواقع ، ويقف معه وجهًا لوجه يعالجه ولا يتهرب منه .

وكان مـن أعظم واجبـات المسلمين في هذا العصر أن تتضافـر جهودهـم على إعانة القـائمين به حتـى تتاح الفرصة لبلوغ أفكارهم غاياتها من قلوب الناس وعقولهم ، تجديرًا لإبلاغ الدعوة وأداء لحق الوراثة في هذا التبليغ .

ومرة أخرى فإن معدّي الموسوعة وهم يقدمون هذا العمل الحافل بالنقول لإخوانهم القراء ليدركوا الصعوبات التي تكتنف مثل هذه الأعمال العلمية الكبيرة ويؤمنون كل الإيمان بـأن العصمة لله وحده ويرجون ويؤملون أن يغتفر لهم القـراء مـا قـد يقعون فيـه مـن قصـور أو هفـوات غير مقصـودة ويـرحبـون كل الترحيـب بـإبـداء الملاحظـات والتصويبات ، ومهما يكن من شيء فهـم يؤملون بأنك ستجد في هذه الموسوعة الأخلاقيـة مرتبطة الحلقات متماسكة الأطراف ، ولعلها تغنيك في مراجعة هذا التراث العظيم ، كما يؤملـون أيضًا بأن هذه الموسوعة الضخمة ستكون من العوامـل الفعّالـة في تذكير المسلمين بما كـان لهم من عظمة ومجد فتبعثهـم على التمسك بهذا الـدين العظيـم «دين الإسلام» نصًا وروحًـا وحتى تتوحد كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغـاربها ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ .

سدد الله الخطى وبارك في الجهـود وهدى إلى الصواب من القول والعلم والعمل وكفى بـربك هاديًا ونصيرًا .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبـــه

صالح بن عبدالله بن حميد

ثراء في الإيمان... وثروة في لغة القرآن

مقدمة اللجنة اللغوية

بقلم: أ. د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي

أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهروأستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد

فإن أصدق تعبير عن هذه الموسوعة هو ما جاء في العنوان الذي اخترناه لهذا التقديم: ثراء، وثروة، فهي تتضمن ثراءً إيمانيًّا بما تتضمنه من الآيات والأحاديث والآثار والأحكام الشرعية وآداب السلوك، وهي أيضا ثروة في لغة القرآن بما تتضمنه من شرح للمفردات اللغوية الواردة في عناوين الصفات، أو للكلمات الغريبة الواردة في متون الأحاديث، ذلك فضلا عن توضيح المعاني الاصطلاحية لألفاظ الصفات، والكشف عن الفروق الدقيقة بينها.

لقد جاءت مقدمات الصفات متضمنة بحوثًا لغوية موجزة تتعلق بأصول هذه الألفاظ وكيفية اشتقاقها، كما تضمنت وجوه استعمال اللفظ في القرآن الكريم اعتمادا على كتب الوجوه والنظائر من ناحية، وعلى كتب التفسير من ناحية أخرى، وهنا كان للجنة جهد بارز يتجلى في تصنيف الآيات القرآنية وفقا لما جاء في المصدرين معا (كتب التفسير، وكتب الوجوه والنظائر)[١] ، وفيما يتعلق بالتعريفات الاصطلاحية لم تكن المهمة سهلة كما قد يتصور للوهلة الأولى، ذلك أن كثيرا منها لم تتضمنه كتب الاصطلاحات المعروفة، وهنا كان الاعتماد على أقوال المفسرين وشراح الحديث واللغويين في استنباط المعنى الاصطلاحي الذي يبرز في هذه الموسوعة للمرة الأولى، هذا بالإضافة إلى التفرقة الدقيقة بين معاني المصطلحات التي قد يظن أنها مترادفة[٢] أو متطابقة وهي -في الحقيقة- ليست كذلك مثل التدبر والتفكر والتأمل ونحوها، وبذلك أضافت الموسوعة إلى ما كتبه علماء الفروق[٣] إضافات لايمكن الاستغناء عنها لمن يريد الوقوف على حقائق معاني الأخلاق الإسلامية من ناحية، وعلى دقة اللغة العربية في التعبير من ناحية ثانية، وإذا كانت الأشياء إنما تتميز بأضدادها ويتضح معناها أكثر إذا اقترنت بنظائرها، فقد حرصنا في نهاية كل مقدمة لغوية على أن نشير إلى الصفات المتقاربة التي تدخل مع الصفة المتحدث عنها في نفس الإطار الدلالي وتشكل معها حقلا لغويا واحدا[٤] مما يساعد على الفهم الصحيح لكل صفة على حدة، كما أشرنا أيضا إلى الصفات التي تضاد هذه الصفة

---

(١) كتب الوجوه والنظائر كتب متخصصة في الكشف عن وجوه استعمال اللفظ القرآني في معان عديدة، وأقدم ما وصل إلينا منها كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان (١٥٠هـ). وقد يحدث ذلك في لفظ دون آخر، وقد تتبعنا ما ورد من ذلك في المصادر الأصلية.

(٢) يراد بالترادف أن يطلق لفظان أو أكثر للدلالة على معنى واحد مثل: البر والقمح والحنطة، أو مثل السنة والعام والحول والحجّة.

(٣) وذلك مثل أبي هلال العسكري في كتابه «الفروق اللغوية».

(٤) تعد نظرية الحقل اللغوي في الدراسات الدلالية من أحدث ما توصل إليه علم اللغة العام، انظر في هذه النظرية وكيفية تطبيقها على اللغة العربية، كتابنا: مدخل إلى علم اللغة الحديث ص ١٥٥ (ط. أولى).

صراحة أو ضمنـا، مثال ذلـك أن نذكـر مع صفـة الابتهال صفـات: الدعـاء- الضراعة- الاستغـاثة- الاستخـارة- الاستعانة - الاستعاذة على أنها صفات متقاربة، ثم نذكر في ضد ذلك: الإعراض - الغفلة - اليأس- القنوط على أنها صفات مضادة[١]، وقد رأينا إتماما للفائدة أن تتضمن الفهارس الفنية فهرسـا خاصا لهذه الحقول الدلالية التي تدخل الصفات في أُطُرِها، وأطلقنـا عليه فهرس «الإحالات» نظرا لأنه يسـاعد قارىء الصفة بإحالتـه إلى المواطن المشابهة أو المضادة.

إن الجهد اللغوي في هذه الموسوعة قد تضمن أيضا تفسير كثير من آي الذكر الحكيم، كما تناول تفسير الألفاظ والعبارات الغريبة التي وردت في الحديث الشريف، وقد رجعنـا في ذلك إلى المتداول من كتب شرح الحديث مثل فتح الباري، وشرح الإمـام النووي لصحيح مسلم، وكتـب غريب الحديث وخـاصة الأمهات منهـا، ونعنى بذلك غـريب الحديث لأبي عبيـد (م٢٢٤هـ)، وغريـب الحديث لابن قتيبـة (م٢٧٦هـ)، وغـريـب الحديث للخطـابي (م٣٨٨هـ)، وأخيرا كنا نرجع إلى الكتـب الجامعة في الغريب مثل الفائق في غـريب الحديث للزمخشري والنهاية في غـريب الحديث والأثر لابن الأثير[٢].

فصاحة الرسول ﷺ:

لقد كـان حديثه ﷺ كما يقـول الجاحظ: هو الكلام الـذي ألقى الله عليه المحبـة وغشاه بالقبـول، وجمع له بين المهابـة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة الكـلام، ولم يسمع الناس بكلام قـط أعم نفعا، ولا أقصد لفظـا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبـا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعـا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنـى، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ[٣].

وقد جاء في صفة رسول الله ﷺ فيما ترويه أم معبد - أنـه كان إذا «تكلم سما وعلاه البهاء.. حلو المنطق، فَصْلٌ، لا نذر ولا هذر، كأن منطقـه خرزات نظم يتحدرن..»[٤]، وقد لفتت فصاحته ﷺ أنظـار من كانوا مضرب الأمثال في الفصـاحة والبيـان حتى قـال قائلهـم وقد سمـع المصطفـى ﷺ يجري حوارا مـع بعض الصحـابة: يـا رسول الله مـا أفصحك! ما رأينا الذي هو أعرب منك[٥]، وقد فسَّر العلماء ذلك بأنه ﷺ «لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد وييسر بالتوفيق»[٦].

---

(١) انظر على سبيل المثال ص٢ من المجلد الثاني.

(٢) المراد بالغريب هنا تلك الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها.

(٣) البيان والتبين ٢/ ١٧.

(٤) انظر حديث أم معبد كاملا في قسم الشمائل ص(٤١٦).

(٥) انظر هذا الحوار الـذي نقله السيوطي عـن البيقهي في المزهر ١/ ٣٥، ومعنى أعـرب منك: أي أفصح منك مـن الإعراب، بمعنى الإبانة والفصاحة.

(٦) البيان والتبيين ٢/ ١٧.

وإذا كان الأمر كذلك فإن لسائل أن يسأل: لماذا كثر الغريب في حديث رسول الله ﷺ؟

لقد كان «غـريب الحديث» بمعنى: الألفاظ أو العبارات الغـامضة الواردة في متون الأحاديث مـن أسبق علوم الحديث ظهورا، وكان السابق إلى التـأليف فيه هو الإمام: أبوعبيدة معمر بن المثنى (م٢١٦هـ)، ثم توالى التأليف فيه إلى يوم الناس هذا، وهنـا قد يتبادر سؤال إلى الذهن خـلاصته: كيف يكثر الغريب في حـديث رسول الله ﷺ؟ مع أن الغرابة عيب يخل بالفصاحة؟ ومع ذلك فقد ثبت أن الرسول الكريمﷺ هو أفصح العرب قاطبة.

إن مناقشـة تفصيلية لهذه القضيـة لا يتسع لها هـذا المجال[1] وإنما نكتفي بـالإشارة إلى أن الغـرابة أمـر نسبي يختلف باختلاف الزمان والمكان، كما يختلف باختلاف المُتَحَدَّثِ إليهم، فما يكون غريبا عند قوم قد لا يكون غريبا عند آخرين، ومـا يكون غريبا في عصر قد يكـون هو- لا غيره- أفصح الفصيح في عصر آخر، وإذا طبقنـا هذه المعايير على الحديث النبوي الشريف – وقد طبقنـاها فعلا – على ما أورده أبوعبيد في كتابه «غريب الحديـث» لكانت النتيجة «أنه ﷺ لم يستعمل إلا الواضح المألوف في بيئته، وإلا ما كان مفهوما لمن يُتَوَجَّهُ إليهم بالخطاب، وأن هذا لاينفي بالطبع أن بعض الألفاظ الحديثية قد قـل استعمالها فيما بعد نتيجة لتطور اللغة، كما اتضح أن بعض هذه الألفـاظ كانت غامضة المعنى عند غير من يخاطب بها[2] ، وأن ذلك كان هو السبب في إطلاق وصف الغرابة عليها»[3].

لقد تكفل الإمـام الخطابي – رحمه الله تعالى – ببيان السبـب الذي من أجله كثـر غريب حديـث رسول الله ﷺ فقال: لقـد بُعِثَ ﷺ مبلغا ومعلما، فهـو لا يزال في كل مقـام يقومه وموطـن يشهده يأمـر بمعروف وينهى عـن منكر، ويشرع في حادثـة، ويفتي في نـازلة ،والأسماع إليه مصغيـة، والقلوب لما يـرد عليها مـن قوله واعيـة، وقد تختلـف عنها عباراته، ويتكـرر فيها بيانه، ليكـون أوقع للسامعين، وأقرب إلى فهـم من كان منهم أقـل فقها وأقرب بالإسـلام عهدا، وأولو الحفظ والإتقـان من فقهاء الصحابـة يرعونها (كلها) سمعـا، ويستوفونها حفظا، ويـؤدونها على اختلاف جهاتها، فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عدة ألفاظ، تحتها معنى واحـد، وذلك كقوله: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»[4] ، وفي رواية أخرى: «وللعاهر الإثلب»[5]. قال الخطابي: وقد مر بمسامعي ولم يثبت عندي: «وللعاهر الكثكث».

---

(١) لقد أفردنا هـذه المسألة بالتأليف في كتـابنا: الغرابة في الحديث النبوي، دراسـة لغوية تحليلية في ضوء ما أورده أبـوعبيد في «غريب الحديث» ط.أولى القاهرة ١٤٠٧هـ.

(٢) مثال ذلك أن يخاطب أحد المغاربة بعض أهله بلهجته المحلية، ويكون أحد السعوديين بجانبه، وفي هذه الحالة يكون كلام المغربي مفهوما لبني جلدته، وغريبا بالنسبة للسعودي، وإذا انتقلنا من الشاهد إلى الغائب اتضح أن الرسول ﷺ كان يخاطب أبناء القبائل بلهجتهم، وحوله من الصحابة الكرام من لا يفهم هذه اللهجة، وهنا يكون كلامه ﷺ مفهوما للمخاطبين غريبا بالنسبة للصحابي الذي لايعرف تفاصيل هذه اللهجة.

(٣) الغرابة في الحديث النبوي للدكتور عبدالفتاح البركاوي ص٢٠٩ (بتصرف).

(٤) أخرجه البخاري ٤/ ٤، ومسلم ٢/ ١٠٨٠.

(٥) رواه أحمد ٢/ ١٧٩، ٢٠٧ من حديث ابن عمر.

وقد يتكلـم ﷺ في بعض النوازل وبحضرتـه أخلاط من النـاس، قبائلهم شتـى، ولغاتهم مختلفة، ومـراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساويـة، وليس كلهم يَتَيَسَّرُ لضبط اللفظ وحصره، أو يتعمد لحفظـه ووعيه، وإنما يستدرك المراد بالفحـوى، ويتعلق منه بالمعنـى، ثم يؤديه بلغتـه، ويعبر عنه بلسان قبيلتـه، فيجتمع في الحديث الواحـد اذا انشعبت طرقـه عدة الفاظ مختلفـة موجبها شيء واحد، وهـذا كما يروى: «أن رجلا كـان يهدي إلى رسول الله كل عـام راوية خمر، فأهداها عام حرمت، فقال: إنها حرمت، فاستـأذنه في بيعها، فقال له: إن الذي حرم شربها حرم بيعها، قال: فما أصنع بها؟ قال: سُنَّهـا في البطحاء، قـال: فَسَنَّها»، وجاء في روايـة اخرى: «فَهَتَّهَـا»، وفي رواية أخـرى: «فَبَعَّهَا»[1]. والمعنى واحد»[2]. ويعني هذا أن اختلاف الرواة قد يكون هو المسئول عن غرابة كثير من الألفاظ.

وقال الخطابي أيضًـا: وبلغني أن أبا عبيد القاسم بـن سلام مكث في تصنيف كتابه (غـريب الحديث) أربعين سنة يسـأل العلماء عما أودعه مـن تفسير الحديث، والنـاس إذ ذاك متوافرون، والـروضة أنـف، والحوض ملآن، ثـم قد غادر الكثير منه لمن بعده، ثم سعى له أبومحمد (ابن قتيبة) سعي الجواد إذا استولى على الأمد[3]، فأسأر[4] القدر الذي جمعناه في كتابنـا هذا، وقد بقي من وراء ذلك أحـاديث ذات عدد لم أتيسر لتفسيرها، تركتها ليفتحهـا الله على من يشاء من عبـاده، ولكل وقـت قوم، ولكـل نشء علم. قـال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِـنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَـزَائِنُهُ وَمَـا نُنَزِّلُـهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر/ ٢١)[5].

ولله در الخطابي فقد كـان الناس فعلًا إذ ذاك (أي في الصدر الأول) يفقهـون حديث رسول الله ﷺ، ثـم خَلَفَ من بعدهم خلفٌ يحتـاجون إلى الكتب الطوال التي تشرح غريب حديث رسول الله ﷺ، ومـن هنا كان حرصنا على أن تتضمن الموسوعة بيانًا لهذه الألفاظ وشرحًا لها مما يغني القارىء عن الرجوع إلى كتب الغريب وشروح الحديث.

لقد كانت طمـوحات الشيخ عبدالرحمن بن ملوح أوسـع من أن تقف عند ما أنجزتـه اللجنتان الأولى والثانية، فكان يشير علينا بين الحين والآخر لإضافة هذه الصفة أو تلك، وكـان يتضح عقب إنجاز هذه الصفات مدى الفائدة العظيمة والخير العميـم من إضـافتها، وكـان من ذلك صفـات: الإغاثـة - الإنذار - الإنصـاف - التبليغ - تكـريم الإنسـان - التوحيـد - عيـادة المريض - الفضـل - كفـالة اليتيـم - اللين - معـرفة الله عـزَّ وجلَّ - الكلم الطيب - المسارعة في الخيرات - النظر والتبصر . .. ونحو ذلك من الصفات المأمور بها.

---

(١) الفائق٣/ ٢٥٤، ٢٥٥ وجاء فيه: الثـلاثة- يعني السَّنُّ، والهَتُّ، والبَعُّ- في معنى الصب، إلا أن السن في سهـولة، والهت في تتابع، والبع في سعة وكثرة، وروى بالثاء، أي قذفها، من ثع يثع، إذا قاء.

(٢) غريب الحديث للخطابي ١/ ١٥.

(٣) يشير إلى قول النابغة: «سبق الجواد إذا استـولى على الأمد»، وأبومحمد هو ابن قتيبة. وجاء في اللسان (أمـد): أَمَدُ الخيل في الرهان: مدافعها في السباق ومنتهى غاياتها التي تسبق إليه.

(٤) أسأر: أي أبقي شيئا قليلًا.

(٥) غريب الحديث الخطابي ١/ ١٥ - ١٦.

ومن الصفات المنهي عنها : الإحباط - إفشاء السر - الانتقام - التكاثر - التنازع - التناجش - التنصل من المسئولية - التهاون - التبذير - الحقد - الرشوة - الرياء - السخرية - الطغيان - العتو - الغرور - الغش - الغي والإغواء - الفتنة - المجاهرة بالمعصية.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يشير إلى إضافات مهمة في صفات عديدة يصعب إحصاؤها نذكر منها: المساواة، وقد أُضيفَت إلى صفة العدل، والإحصان (بالزواج)، وقد أُضيفَت إلى صفة حفظ الفرج لأن الزواج من وسائل ذلك، والعُجْب، الذي أُضيفَ إلى الكِبر، والمصابرة، التي أُضيفَت إلى الصبر، والشدة التي أُضيفَت إلى القوة.

وفيما يتعلق بالفهارس فقد بذلت اللجنة جهدًا ندعوا الله أن يكون موفقًا ومُباركًا فيه، وسنتحدَّث عنه وعن كيفية استخدام هذه الفهارس في مقدمة المجلد الثاني عشر بإذن الله تعالى.

لقد اجتهدنا ما وسعنا الجهد في إبراز تلك الصفات في صورة أقرب ما تكون إلى الكمال البشري، أما الكمال المُطلق فهو لله تعالى، نسأله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

ولا يسعني في ختام هذه الكلمة إلاَّ أن أتقدم بالشكر وافرًا وجزيلًا لأخي وصديقي الشيخ عبدالرحمن بن محمد ابن ملوح على تلك الجهود المباركة التي بذلها في نشر هذه الموسوعة (ولم تكن تلك الجهودمادّيّة فحسب وإنما كانت أيضًا جهودًا معنوية وعلمية، حثيثة ورائعة، وأن نتوجه إلى المولى عز وجل بأن يجزيه على ذلك خير الجزاء وأن يجعله من أصحاب الحياة الطيبة في الدنيا ومن أهل «نضرة النعيم» في الآخرة إنه سبحانه أكرم المسئولين وأجزل المعطين[1].

سبحانك ربنا لا عِلْمَ لنا إلاَّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتور عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي

مكة المكرمة في العشرين من ربيع الأول ١٤١٨هـ

---

(١) لما كان الجزاء من جنس العمل، فإننا ندعو الله ـ عز وجل ـ للشيخ والذين ساهموا معه بأن يكونوا من أصحاب نضرة النعيم.

الحياة والنفس الإنسانية

بقلم : عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح
مؤسس ومدير عام دار الوسيلة للنشر والتوزيع

تمهيـــد :

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدّر فهدى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد:

فقد اشتملت هـذه الموسوعة على مكارم أخلاق الرسـول ﷺ التي تشكل فيما بينها (منظومة أخـلاق متكاملة) تصلح بها أمـور الإنسان في الدنيا والآخـرة، ولما كان الأخذ بمعـالي الأخلاق ومكارمها يستلـزم -ضرورة- التخلي عن مذمومها مـن حيث كونهما ضدان لا يجتمعان، كان لابـد من الحرص على إبراز هذه الأخلاق المذمومـة التي نهى عنها الشارع الحكيم، وبذلك تتوفـر لقارئ هذه الموسوعة قاعدة علمية شاملة تضم الأمريـن جميعا: المأمور به والمنهي عنه في القرآن والسنة، وهنا يتحقق شرط الإلزام الخلقي الأساسي، ألا وهو المعرفة النافية للجهالة[1].

وبهذه المعرفة تتحـدد المعايير الضرورية التي تضبط حركـة السلوك الإنساني في هذه الحياة، بيد أن هـذه المعرفة وحدها غير كافية، إذ ينبغي على المؤمن أن يربط القول بـالعمل، والمعرفة بالسلوك، بحيث لا يكون القول مجرد كلام لا جدوى منـه، وتكون المعرفـة مجرد إطار نظري لا فـائدة منها، ذلك أن اقتران القول بـالعمل والمعرفـة بالممارسة قـاعدة إسلامية أقرها القرآن الكريم في قول الله سبحانه:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

وقد كانت حيـاة الرسول ﷺ تجسيدًا عمليا لكل ما كـان يدعو الناس إليه من مكـارم الأخلاق وحميد الصفات فكان ﷺ مثـالًا يحتذى في عدله ورحمتـه وبره، وكانـت بعثته ﷺ في جوهـرها لإتمام هذا الجانب التطبيقـي المتمثل في تتميم مكارم الأخلاق، قولًا وفعلًا، دعوة وممارسة، يقـول عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[3]. و «إنما بعثت لأتمم مكـارم الأخلاق». وربط عليه الصـلاة والسلام بين كمال الإيمان وحُسن الخُلُق، فقـال: «إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقا»[4]. ونبه عليه الصلاة والسلام على أهمية سلـوك الخير وفعله فقال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن»[5].

تكليف الإنسان وابتلاؤه :

لقد كـرم الله الإنسان، فخلقه بيـديه، ونفخ فيـه من روحـه، وأسجد له مـلائكته، وفضله على كثير ممـن خلق، وأعطاه نعمة العقـل، وزوده بنور الفطرة، وجعل خلقته قـابلة للتكليف، إن فعل الخير أثيب، وإن فعـل الشر عوقب،

---

(١) انظر شروط الإلزام الخُلُقي وخاصة ما يتعلق بالمعرفة في «النظرية الخلقية عند ابن تيمية» ص ١٣٦ وانظر أيضا ص ١٠٠ وما بعدها من هذه الموسوعة.

(٢) الصف/ ٢ - ٣.

(٣) انظر صفة حُسن الخُلُق، حديث رقم (٨).

(٤) انظر صفة حُسن الخُلُق، حديث رقم (٣).

(٥) انظر صفة حُسن الخُلُق، حديث رقم (١٥).

وهذا هو مقتضى حمل الأمانة التي قبلها الإنسان وأبت السماوات والأرض أن يحملنها، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

لقد جعل الله للإنسان هذه الحياة الدنيا دارًا أولى يحيا فيها ويعمرها، ليستعين بذلك على عبادة ربه طاعة ومحبة وإخلاصًا، ثم ابتلاه بالتكاليف (بالأوامر والنواهي) ليمحصه رحمة منه وفضلًا، يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «ابتلاء الخلق بالأوامر والنواهي، رحمة لهم وحمية، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به، ومن رحمته: أن نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا بها ويرغبوا عن النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إليها بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم[2]».

قد يظن بعض الناس أن ابتلاء الإنسان بالسراء هو إكرام له لا اختبار طاعة[3]، ويرى الابتلاء بالضراء هو انتقام هوان أو إهانة، وقد نعى القرآن الكريم على هذا الصنف من الناس ذلك الاعتقاد الباطل ونفاه نفيا حاسما، يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[4]. وقد صحح القرآن الكريم هذا الفهم السيء في الآيات التي تتلو ذلك مباشرة، وأعاد توجيه الأفهام إلى الممارسات الخاطئة الناتجة عن هذا الفهم السيء لحكمة الابتلاء، وهذه الممارسة الخاطئة هي عدم إكرام اليتيم وعدم الحض على إطعام المسكين والاستئثار بالمال وله وجمعه دون الإنفاق كما أمر الله، فقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[5]. والأمثال في هذا المجال كثيرة في القرآن مثل ما جاء في سور الشمس والبلد والضحى. والحقيقة هي أن الله ـ عز وجل ـ يبتلي العباد تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فتصير المنحة والمحنة جميعًا ابتلاء، فالمنحة تقتضي الشكر والمحنة تقتضي الصبر، يقول الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[6]. إن هذا الإنسان المكرم لم يخلق عبثًا ولن يترك سدًى، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[7]، ويقول عز من قائل: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[8]، ومن ثم فهو محاسب على ما قدمت يداه، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[9]، وقد أخبرنا المصطفى ﷺ عن حدود هذه المسئولية ومجالاتها عندما قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيمَ أفناه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه»[10].

---

(١) الأحزاب/ ٧٢. (٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٢) وما بعدها (بتصرف).

(٣) فلسفة التربية الإسلامية، ص ١٧٢ (بتصرف).

(٤) الفجر/ ١٥ - ١٦. (٥) الفجر/ ١٧ - ٢٠. (٦) الأنبياء/ ٣٥.

(٧) المؤمنون/ ١١٥. (٨) القيامة/ ٣٦. (٩) الزلزلة/ ٧ - ٨.

(١٠) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٩٦)، وقال: رواه الترمذي، وهو حسن صحيح.

العلاقة بين الحياة والنفس الإنسانية :

إذا كانت علاقة الإنسان بخالقه هي العبادة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وعلاقة الإنسان بالكون علاقة تسخير كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[2]، فإن علاقة الإنسان بالحياة هي علاقة ابتلاء وتمحيص، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[3]. وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: أن الله ـ عز وجل ـ خلق الموت للبعث والجزاء وخلق الحياة للابتلاء[4]. أما موضوع هذا الابتلاء فهو حسن العمل الذي لخصه الرسول الكريم ﷺ، في تفسيره للآية بأنه: الورع عن محارم الله والإسراع في طاعته[5]. وتدخل فيه مكارم الأخلاق بأوسع معانيها [انظر الكشاف التوضيحي من (١ - ٤) و (٤أ) و (٤ب)]

بين الابتلاء وحُسن الخُلُق :

إن هذا الابتلاء الذي يعني الاختبار والتمحيص هو المحك الأساسي الذي يجسد الصراع الأزلي بين قوى الخير والشر في النفس الإنسانية، فالنفس المطمئنة ألهمت التقوى والطاعة، والنفس الأمارة بالسوء ألهمت الشر والفجور، ذلك أن النفس المطمئنة تأمر بالخير وتحض عليه، والنفس الأمارة بالسوء تأمر بالشر وتحض عليه، يساعدها في ذلك شيطان مريد يستغل ضعف الإنسان ويزين له فتن الشبهات والشهوات، وبين الاثنين توجد النفس اللوامة التي تشكل صمام الوقاية وتقوم بعملية الموازنة والتصحيح، إذ تلوم على فعل المعاصي من ناحية، وعلى عدم الاستكثار من فعل الخيرات من ناحية ثانية. [انظر الكشاف التوضيحي من (١٠) إلى (١٣أ)، وكذلك انظر خريطة الابتلاء والنفس الإنسانية بعد صفحة (ع ب)].

الأخلاق الكريمة والعبادة :

إن الأخلاق الفاضلة من نحو أعمال القلب والعقل والجوارح واللسان مثل صدق الحديث ،وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والرفق والرأفة، والدعاء، والذكر، وتلاوة القرآن، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك، كلها داخلة في مفهوم العبادة، وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة لله

---

(١) الذاريات/ ٥٦. (٢) إبراهيم/ ٣٢ - ٣٣. (٣) الملك/ ٢.

(٤) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٠٧).

(٥) السابق، الصفحة نفسها (بتصرف).

والمرضية له[١]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢]. وبها أرسل الله جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾[٣]، والدين كله داخل في العبادة التي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له[٤]، ومن هنا تكون فضائل الأخلاق ومكارمها داخلة في إطار الدين وركنا أساسيا من أركانه.

إن هذه الأخلاق الإيمانية ـ كما أطلق عليها ابن تيمية ـ هي وجه من الوجوه التي يتفاضل فيها الناس فيما يتعلق بزيادة الإيمان ونقصه، يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية الله، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والإخلاص له، وفي سلامة القلوب من الرياء، والكبر والعجب، والرحمة للخلق والنصح لهم، ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية[٥]، ومصداق هذا قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[٦]. [انظر الكشاف التوضيحي (٤أ)].

الإيمان ومكارم الأخلاق:

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ ما خلاصته: «إذا كان الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، وأنه لابد فيه من شيئين: الأول تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته وهذا هو التوحيد، والآخر عمل القلب وهو التوكل على الله وحده ونحو ذلك من حب الله ورسوله، وحب ما يحب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، كانت أعمال القلب من الحب والإخلاص والخشية والتوكل ونحوها داخلة في الإيمان بهذا المعنى، وكانت الأخلاق الكريمة داخلة فيه أيضًا، وأما البدن فلا يمكن أن يتخلى عن مراد القلب لأنه إذا كان في القلب معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، ولهذا قال النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٧].

إن الإيمان بذلك هو مناط تكوين القيم الخلقية والاجتماعية ونحوها، وهو أيضًا مصدر الإلزام الخلقي، لأنه هو المسيطر على كل غرائز الإنسان وشهواته، والمتحكم في أحاسيسه ودوافعه [انظر الكشاف التوضيحي (٥ – ٩)].

العبادة ونور الفطرة:

لقد كان من مظاهر تكريم الإنسان أن زوده الله تعالى بنور الفطرة التي يستطيع بها أن يعرف ربه، ويستدل بها على صراطه المستقيم وذلك من التدبر في آلائه ونعمه، يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ

---

(١) الفتاوى (١٠/ ١٤٩ – ١٥٠) بتصرف يسير.

(٢) الذاريات/ ٥٦.   (٣) المؤمنون/ ٢٣.

(٤) الفتاوى (١٠/ ١٥٢). وانظر صفة «العبادة».

(٥) انظر الأخلاق الإيمانية في مواطنها من هذه الموسوعة.

(٦) بتصرف واختصار عن الفتاوى ٧(٥٦٤)، وانظر الحديث رقم ٣٥ في هذه الصفة.

(٧) البخاري ـ الفتح (١/ ٥٢)، ومسلم (٢٤٢٦) واللفظ له، وانظر الحديث بتمامه في صفة الصلاح حديث رقم ١٣.

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)]، والفطرة: هي الخلق والهيئة التي في نفس الطفل، وهي مُعَدَّة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه، ويؤمن به، فكأنه تعالى قال: أقم وجهك للدين الحنيف ،وهو الذي على الاستعداد له فطر البشر، ولكن تعرضهم العوارض[(٢)]، وقيل : المعنى هو أن الله سبحانه خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات فما دامت باقية على ذلك القبول وتلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق[(٣)].

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: لقد فطر الله عباده على محبته وعبادته، فإذا تركت هذه الفطرة بلا فساد، كان القلب عارفا بالله محبا له عابدا له وحده[(٤)].

إن فساد الفطرة أمر محتمل ووارد سواء أكان من البيئة المحيطة بالإنسان كما قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[(٥)]. أو من إغواء الشيطان ووسوسته، وفي هذه الحالة اقتضت رحمة الله تعالى بالإنسان أن يرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين ويحدث صراع عنيف بين الشيطان وما يدعو إليه من ناحية وبين الرسل وما يدعون إليه من التزام الصراط المستقيم من ناحية أخرى بين الفجور والتقوى [انظر الكشاف التوضيحي (٤د)و (٤ج)]. وسنوضح هذا فيما يلي:

إغواء الشيطان :

بعد أن خلق الله آدم أمر الملائكة بالسجود له، ولكن إبليس أبى واستكبر وخالف أمر ربه، ولم يسجد لآدم حسدًا وكبرًا، وبعد أن حلّت عليه اللعنة وطُرِدَ من رحمة الله توعد آدم وذريته بأن يضلهم ويفتنهم ويقعد لهم على صراط الله المستقيم، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[(٦)]، وقد أقسم بعزة الله تعالى أن يغوي جميع بني آدم إلا المُخْلَصِين، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[(٧)]. لقد حدد الشيطان الرجيم هدفه وهو إغواء بني آدم وصدهم عن صراط الله المستقيم وصرفهم إلى طُرق أخرى يضيع فيها سعيهم وتضل أعمالهم ويكون مصيرهم نار جهنم وبئس المصير.

إرسال الرسل :

وقد كان من تمام رحمة الله تعالى أن بعث رسله مبشرين ومنذرين [انظر الكشاف التوضيحي (٣)] معهم الكتاب والميزان ليعتدل أمر الناس ويستبينوا طريق الله تعالى من طريق الشيطان، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[(٨)]، وكانت دعوتهم جميعًا إلى «صراط الله المستقيم»، يقول الله تعالى

---

(١) الروم/ ٣٠. (٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٩). (٣) السابق، الصفحة نفسها. (٤) الفتاوى (١٠/ ١٧٥) بتصرف.
(٥) البخاري ـ الفتح (٣/ ١٣٨٥). (٦) الأعراف/ ١٦ - ١٧. (٧) صٓ/ ٨٢ - ٨٣. (٨) الحديد/ ٢٥.

على لسان هود عليه السلام: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[(١)]، ثم جاء النبي ﷺ بالرسالة الخاتمة، ودعا إلى ما دعت إليه الرسل من التزام هذا الصراط، ووصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[(٢)].

إذن فإن الثبات على الصراط المستقيم هو محور الصراع بين الخير والشر، بين ما تدعو إليه الرسل وما يسعى إليه الشيطان الرجيم، فما هذا الصراط؟

الصراط المستقيم :

كما سبق أن ذكرنا فإن هذا «الصراط المستقيم» هو دعوة الرسل جميعًا، وهو الهدف الذي يسعى إبليس اللعين أن يقعد لبني آدم عليه فيصدهم عنه، وذكرنا أيضًا أن الله ـ عز وجل ـ على صراط مستقيم، ومعنى كون الله تعالى على صراط مستقيم أنه سبحانه على طريق مستقيم في قضائه وقدره وأمره ونهيه، يهدي من يشاء إليه بفضله ورحمته، ويصرف عنه من يشاء بعدله وحكمته[(٣)].

لقد صور رسول الله ﷺ التزام الصراط المستقيم والخروج عنه، أي ذلك الصراع بين طاعة الرحمن وطاعة الشيطان فيما يرويه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: خط رسول الله ﷺ خطا ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[(٤)]. فالسبيل المستقيم أو الصراط المستقيم هو ما تدعو له الرسل. وتهدي الناس إليه، أما السبل الأخرى التي ينحرف إليها البعض فليست إلا سبلًا شيطانية نشأت بعد أن قعد لهم إبليس على هذا «صراط الله المستقيم».

أما دعوته ﷺ إلى هذا الصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فهي ـ كما يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى: كل علم أو عمل أو حقيقة، أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته، فهو من الصراط المستقيم وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال. فما ثَمَّ خروج عن هذه الطرق الثلاث: طريق الرسول ﷺ وما جاء به، وطريق أهل الغضب (المغضوب عليهم)، وهي طريق من عرف الحق وعانده. وطريق أهل الضلال: وهي طريق من أضله الله عنه. ولهذا قال عبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهم ـ «الصراط المستقيم: هو الإسلام» وقال عبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ «هو القرآن» وفيه حديث مرفوع في الترمذي وغيره، وقال سهل بن عبدالله «طريق السنة والجماعة» وقال بكر بن عبدالله المزني «طريق رسول الله ﷺ». ولا ريب أن ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه علمًا وعملًا وهو معرفة الحق وتقديمه، وإيثاره على غيره، فهو الصراط المستقيم[(٥)].

---

(١) هود/ ٦.   (٢) الشورى/ ٥٢ - ٥٣.   (٣) إغاثة اللهفان ص ٢٢٠.

(٤) الأنعام/ ١٥٣.   (٥) مدارج السالكين (١/ ٨).

إيضاح وبيان

إن الأهداف الخاصة بترابط الصفات الإيمانية المحمودة، والصفات المذمومة المضادة لها، في هذه الموسوعة استدعت وضع شرح منهجي متسلسل الخطوات، يتسم بالتدرج على شكل بياني، يوضح علاقة وتداخل هذه الصفات مع بعضها البعض، ويظهر ترابطها على نحو يتسم بالتكامل. وقد وُضعَ هذا الشكل المتسلسل لتبسيط الشرح وتيسير الفهم لمجموعة هذه العلاقات التي تشكل منظومة قيم أخلاق التربية الإسلامية لما أمر به أو نهي عنه في الكتاب والسنة.

لكل صفة في الاطر رقمها التسلسلي في الموسوعة لتيسير الرجوع إلى تفاصيلها. م: تعني الصفة مكرر

من أجل تذكر هذا الشكل البياني وتسهيل شرحه تم اقتباس هذا الشكل البياني ورسمه بطريقة مشابهة لرسم هيكل نظام «الدورة التنفسية (الجهاز التنفسي) المكون من منطقة الرأس والرئتين والقلب والحجاب الحاجز».

يجسد الشكل الذي وضعناه أهمية نظام الدورة الأخلاقية التي تحيا بها نفس الإنسان، وكأنها بأهمية الجهاز التنفسي الذي يحيا به جسده.

وفيما يلي شرح موجز لمكونات هذا الشكل وفق التقسيم السابق:

منطقة الرأس

رقم (١) يشير إلى موقع منطقة الرأس في الشكل وهي أن غاية النظام الأخلاقي هو توحيد الله عز وجل ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ (آل عمران ١٨) وعبادته وحده سبحانه ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (الذاريات ٥٦).

رقم (٢) خلق السماوات والأرض وما بينهما، الملائكة، خلق الإنسان والموت والحياة للإبتلاء ﴿**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير × الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور**﴾ (الملك/١ -٢) أي أنه سبحانه – أوجد الخلائق من العدم، وخلق الموت للبعث والجزاء، والحياة للابتلاء . وأيكم أحسن عملاً أي أكثركم للموت ذكراً وأحسن استعداداً. تفسير القرطبي.

رقم (٣) وكـان من رحمتـه –عزَّ وجَلَّ– بـالإنسان أن أنزل الوحي وبعث الأنبياء وأرسل الرسل، ثم أرسل محمد ﷺ خاتم الأنبياء للناس جميعا بالدعوة إلى عبادة الله عز وجل ومتمماً لمكارم الأخلاق.

رقم (٤) يمثل موقع الدعوة و يوضح أهميتها التي هي محور رسالة الأنبياء والرسل، ويتلقى الإنسان هذه الدعوة بواسطة السمع والبصر والفؤاد وتنقسم هذه الدعوة إلى قسمين:

رقم (٤) أ وهو الأمر بفعل الخير الواجب منه والمستحب وما يتبعه من ترغيب بالثواب واكتساب الحسنات والسعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

رقم (٤) ب وتتضمن النهي عن فعل الشر (الباطل) وهو المحرم والمذموم بالترهيب بالعقاب بالحد الشرعي في الدنيا وعقاب القبر وعذاب النار في الآخرة.

منطقة الرئتين

ويوضح الرسم البياني في (منطقة الرئتين) أن الله عز وجل خـلـق النـفس الإنسـانـيـة وألـهـمـهـا فـجـورهـا وتـقـواهـا.

رقم (٤) ج يوضح الشكل على الجهة اليمنى باللون الأخضر موقع التقوى وحسن النية وإرادة الخير التي تشكل أسس العبادة. وتنقسم أعمال العبادة في الشكل إلى ثلاثة أجزاء: (عمل القلب)، (عمل الجوارح)، (عمل اللسان) ولكل جزء إطار يجسد علاقة الإنسان (مع الله) (مع نفسه)، (مع الغير) دون فيه الصفات الخلقية التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها.

رقم (٤د) وكذلك هو الحال في الفجور وأعماله التي تـنـطـوي تحت لـواء سـوء الـنـية وإرادة الشر المبينة في الجهة اليسرى في إطار باللون الأحمر حيث تم إجراء نفس التقسيم لأعمال الإنسان (عمل القلب)، (عمل الجوارح) (عمل اللسان) وعلاقات أعمال الإنسان المذكورة (مع الله)، (مع النفس)، (مع الغير).

وهـذه الـتـقـسـيـمـات الموضـحـة في الإطـاريـن الأخـضـر والأحمر (منطقة الرئتين) هي بمثابة كشف توضيحي لموضوعات الموسوعة وتشكل في مجموعها منظومة أخلاق ربـانـيـة المصدر متـكـامـلـة الأبـعـاد للأخذ بمعالي الأخلاق ومكارمها والتخلي عن مذمومها من أجل أن تصلح أمور الإنسان في الدنيا والآخرة. فهي أساس خريطة الحياة والنفس الإنسانية وبمثابة دليل للإنسان إلى الصراط المستقيم.

منطقة القلب

رقم (٥) فإن تلقي الإنسان هذه الدعوة وحفظها ووعاها كان عليه أن يعمل عقله بواسطة التفكر والتأمل والتدبر والتبصر والاتعاظ فإن هو تمكن من هذه المعلومات واستوعبها تكونت عنده المعرفة والحكمة ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**﴾ (البقرة ٢٦٩).

رقم (٦) فإن شرح الله صدره وهداه اختار الخير وأخذ القرار الصحيح بالامتثال لأمر الله تعالى وانتهى عن فعل الشر ودخل مرحلة الالتزام بتعاليم الإسلام.

رقم (٧) يشير إلى مرحلة الدخول في دين الإسلام بمعناه العام وهو الاستسلام لأمر الله تعالى والخضوع له، وأداء أركانه مما يغير من سلوكه تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ (الرعد ١١).

فيتغير الفجور وما يصحبه من قلق إلى تقوى وطمأنينة وسكينة فيصبح مسلمًا بعقله وقلبه وجوارحه.

رقم (٨) وعندما يداوم الإنسان على الامتثال لأركان الإسلام يزداد إيمانا وتزداد عنده المقدرة على تكون واستيعاب القيم الفكرية والروحية والجمالية والمادية والاجتماعية والوجدانية وتتكون عنده الشخصية المسلمة المؤمنة التي تمكنه من السيطرة على الغرائز والشهوات والنزعات والأحاسيس والدوافع الفطرية وكلما زاد إيمانه زاد تقواه وحسن خلقه (انظر صفة الإيمان) وحسن عمله .

وهي مرحلة الإحسان في الأقوال والأفعال والمقدرة على المراقبة

رقم (٩) الذاتية والخارجية بمراقبة نفسه ومحاسبتها ومجاهدتها فيتكون لديه الالتزام الخلقي والسلوكي تجاه أخيه الإنسان ويحسن عبادة الله عز وجل خوفا من عذابه ورجاء لرضوانه وفضله.

منطقة الحجاب الحاجز

رقم (١٠و١١) هي منطقة الابتلاء والاختبار كما أنها هي مرحلة التدريب الخبرة والتطبيق والتجربة بما عرفه الإنسان وحفظه، وتشغل تجربة الابتلاء موقع المركز أو قطب الرحى في مجمل العلاقات الإنسانية، إذ تنمو بها قوى النفس والعقل ويتم عن طريقها شحذ الفكر وصقل الطبع وتهذيب العاطفة ووضعها مماثل لوضع الحجاب الحاجز في أهميته للجهاز التنفسي إذ كلاهما دائم الحركة. وبدونهما لا يستطيع الجسد ولا تستطيع الروح أن يستمرا في الحياة، وفي مرحلة الابتلاء يبتلي الله الإنسان بالشر والخير فتنة.

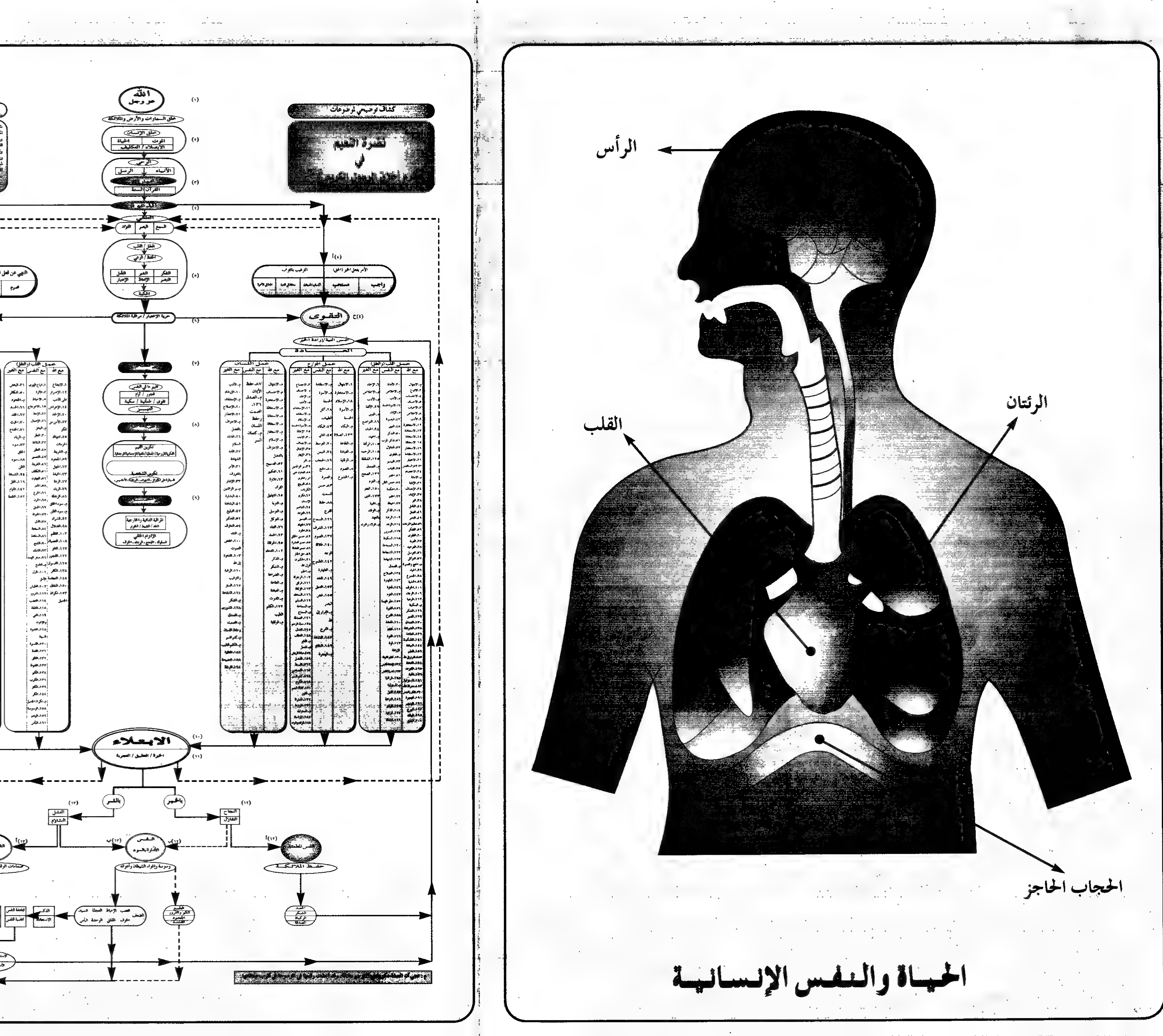
رقم (١٢) فإن كان في خير ونجاح وتفاؤل .

رقم (١٢أ) وكان عليه أن يعمل بنفس مطمئنة ترعاه الملائكة ويؤدي ما عليه من شكر وحمد وغيرها (تابع مسار السهم الأخضر إلى أعلى).

رقم (١٢ب) ولكن إن أخذته النفس الأمارة بالسوء وإغواء الشيطان فيعمل بأمور قوامها الطمع والكنز وغيرها فيلجأ إلى الفجور بالنعمة تابع مسار السهم – الخط الأحمر .

رقم (١٣) أما إذا أصيب بالشر وفشل فقد تأخذه النفس الأمارة بالسوء. ويلجأ إلى الغضب والإحباط والأخلاق المذمومة كالظلم والعدوان والغش وغيرها (تابع مسار السهم – الخط الأحمر).

رقم (١٣أ) ولكن النفس اللوامة تقدم له صمامات الوقاية والتوازن والتصحيح بمجرد أن ينزغه نزغ من الشيطان فيلجأ إلى الذكر والاستعاذة ويجاهد نفسه ويحاسبها ويتوب ويستغفر الله ويحتسب وعيه أن يستخير ربه ويتوكل عيه ويرجع إلى مسار الخير والفضيلة كما هو موضح في مسار سهم الخط الأخضر.



خريطة الحياة والنفس الإنسانية
كشاف توضيحي لمحتويات
الله
عز وجل
التقوى
الفجور
الابتلاء
الرأس
القلب
الرئتان
الحجاب الحاجز
الحياة والنفس الإنسانية

الابتلاء والصراط المستقيم[1] :

إن الابتلاء والفتنة يمحصان العبد ويردانه إلى هـذا الصراط المستقيم إذا استطاع الشيطان في لحظة من لحظات الضعف الإنساني أن يخرج الإنسان عن هذا الصراط المستقيم ويسلك بـه سبلًا أخرى، وقد كان من رحمة الله سبحانه ألا يدع الإنسـان فريسة لهذا الشيطان وإنما زوده بـوسائل الحماية والوقـاية منه، ثـم هيأ له وسائل الإفـلات إن وقع في الفخ وخرج عن الصراط المستقيم، فمن ذلك:

١ - **الرجوع إلى القرآن الكـريم والسنة المطهرة:** مصداق ذلك قـول الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

٢ - **واعظ الله ـ عز وجـل ـ في قلـوب عباده المؤمنين:** قال رسـول الله ﷺ : «**إن الله تعالى ضرب مثـلًا:** صراطًا مستقيمًا. وعلى كَنَفَتَي الصراط سوران، لهما أبـواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخـاة، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعـو فوق الصراط، فالصراط المستقيـم: الإسلام، والسوران: حـدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله. فـلا يقع أحد في حَدٍّ من حـدود الله حتى يكشف الستر، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والـداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»[3]. فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة أو نور الفطرة.

٣- **مدد الملائكة:** ثم يؤيد الله عبـاده المُخْلَصِين بجند من الملائكة يثبتونهم ويأمـرونهم بالخير ويحضونهم عليه يعدون العبد بكـرامة الله تعالى ويصبرونه على البلاء، ويبشرونه بثـواب الله وعظيم فضله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[4].

٤ - **الدعاء والاعتصام بالله:** تشتد حاجـة العبد أن يسأل ربه أن يهديه إلى هذا الصراط المستقيـم، وكان سؤال هذه الهدايـة أوجب دعاء على كـل عبد، وقد أوجبـه الله عليه كل يوم وليلـة بقوله تعـالى في الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[5]. ويردد المسلم ذلـك بعدد ركعات صلاة كل يوم حتى يأتيه اليقين لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة[6]. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[7].

---

(١) انظر الحياة الإيمانية في ضوء علاقة الابتلاء والنفس الإنسانية في هذه الموسوعة.

(٢) المائدة/ ١٥ - ١٦.

(٣) انظر هذا في صفة الاستقامة، حديث رقم (٦) وقد خرَّجناه هناك.

(٤) فصلت/ ٣٠ - ٣١.

(٥) الفاتحة/ ٦ - ٧.

(٦) مدارج السالكين (١/ ٦٣) بتصرف.

(٧) آل عمران/ ١٠١.

٥- الاستعاذة بالله تعالى مـن الشيطان الرجيم: إن العبد إذا لجأ إلى الله تعالى واستعاذ بـه من شر هذا الشيطان فإنه سرعان ما يخنس (ويهرب)[(١)]، ويتركه وشأنه، ومن ثم تتاح له فرصة الرجوع إلى الصراط المستقيم.

النفس الإنسانية ودورها في المجال الأخلاقي :

للنفس الإنسانية دور بارز فيما يتعلَّق بالأخلاق لأنها إما أن تساعد صاحبها على أن يكون من الأخيار وهي النفس المطمئنة، وإما أن تلومـه على السيئات فتدفعه إلى التوبة والاستغفـار، كما تلومه على عدم الإكثار من الحسنـات وهذه هي النفس اللوامة، وإما أن تأمره بالشر وارتكاب المعاصي وتلك هـي النفس الأمارة بالسوء، ولهذه المواقف الثلاث تأثير بالغ على تحلي الإنسان بـالأخلاق الفاضلـة أو الوقوع في بـراثن الـرذيلة والاتصاف بسـوء الخُلُق، والتناسـب بين هذه الحالات الثلاث تناسب عكسي، فكلما قويـت النفس المطمئنة التي ألهمها الله التقوى ضعفت النفس الأمـارة بالسوء التي ألهمت الفجور، وبينهما النفس اللوامة[(٢)]، وهي تلك التي تلـوم على ما فات، وتندم عليه، فتلوم على الشر لِـمَ فعلته؟ وتلوم على الخير لم لا تستكثر منه؟ ومن ثـم تكون اللوامة: التي تلوم صاحبها بـاستمرار وهي بذلك صفة مدح، فإذا كـانت كل من النفس المطمئنة والنفـس الأمَّارة تقومان بعملية التـوجيه، فإن النفس اللوامة تقـوم بعملية المراجعة والتقويم انطـلاقًا من الفطرة التي تستحسن الخير وتحث عليه، وهنا ندرك لماذا كانت القسمة ثنائيـة في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ فجعل للنفس قسمين فقط هما: التقيـة بأمر ربها، والفاجرة بإذنـه، أما إذا نظرنا إلى طبيعة الإنسان ومـا منحه الله من عقل يميّز به بين الطيب والخبيث، وبين الحسن والرديء في ضوء الشرع، فقد زود الإنسـان بقوة ثالثة تتولى عملية التوازن وتقوم بدور التصحيـح، ألا وهي النفـس اللوامـة. [انظر الكشاف التـوضيحي (١٠ - ١٣أ)، وانظـر كذلـك خريطـة الابتلاء والنفس الإنسانية].

أما النفـس المطمئنة فإنها تـأمر بالخير وتحض عليـه، ويكون من نتيجـة الالتزام بذلـك تخلُّق الإنسان بـالأخلاق الطيبة في جميع علاقاته، وفي كـل ما يصدر عن قلبه أو جوارحه أو لسانه، ففيما يتعلَّق بعلاقته مـع الله ـ عز وجل ـ نجد قلبه يعمر بالإيمان، والرضـا، والتوحيد، والتقوى، والرجاء، والخوف، ونجد هذا القلب فيما يتعلـق بالإنسان نفسه متصفا بالأمانة، والتـأني، والتفاؤل، والحياء، والسكينة، والطمأنينة، أمـا فيما يتعلق بالغير فنجده ممتلئًا بالسماحـة والرحمة والرفق والمحبة ... ونحو ذلك. وإذا انتقلنا إلى مجال الأعمال الظاهرة أو أعمال الجوارح لـوجدنا أعمال الإسلام من صلاة وصيام وحج، ووجدنا في النفس الاستقامة والطهارة وأكل الطيبـات، وفيما يتعلّق بالغير نجد الإنسان متخلقا بالإحسان والإخاء والأدب والإنفاق والبر وحُسن العشرة وحُسن المعاملة وصلة الرحم وكفالة اليتيم والمروءة والمواساة ونحو ذلك.

---

(١) انظر صفة الاستعاذة.

(٢) اختلف المفسرون اختلافا كبيرا في معنى النفس اللوامة، فقيل هي التي تلوم على الخير والشر، ورُوِيَ عن مجاهد أنها التي تندم على ما فات (تفسير ابـن كثير ٤/ ٤٧٧)، وقال القـرطبي: هي نفـس المؤمن الـذي لا تراه إلا يلـوم نفسه، ويقول مـا أردت كذا فـلا تراه إلا يعاتب نفسه، وقد نقل القرطبي ذلك عن ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم، انظر تفسير القرطبي ١٩/ ٩٣.

ويخضع اللسان أيضًا لتوجيه النفس المطمئنة فلا يصدر عنه فيما يتعلّق بالله - عز وجل - إلَّا كل طيب كالابتهال والدعاء والاستخارة والاستغاثة والذكر وتلاوة القرآن ،وفيما يتعلّق بالإنسان نفسه نجد صفات مثل كتمان السر وحفظ الأيمان ونحوهما، أما فيما يتعلّق بالغير فيتصف اللسان بالصدق والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبشارة والدعوة إلى الله - عز وجل - ونحو ذلك. [انظر الكشاف التوضيحي (٤أ ، ٤ج) و (٤ب ، ٤د) وما فيه من صفات أعمال العقل والقلب والجوارح واللسان وعلاقاتها مع الله ومع النفس ومع الغير].

النفس الأمَّارة بالسوء :

للنفس الأمارة بالسوء أيضًا تأثيرها العظيم في مجال الأخلاق، إذ تحض على الشر، وعلى مخالفة أمر الله تعالى، وتتعاون مع الشيطان في النهي عن فعل الخير ولذلك وصفها المولى - عز وجل - بالفجور لخروجها عن أمر الله وما جاء به الرسول ﷺ فإذا سلك الإنسان مسلكًا متبعًا هواه ونفسه الأمارة بالسوء جاء هذا السلوك قبيحًا ويتسم بالنيّة السيئة وإرادة الشر، هذا منبع كل ما يصدر عن الإنسان قبيحًا وسيئًا سواء أكان ذلك من عمل القلب أو اللسان أو الجوارح. ففي مجال القلب نجد الشرك والكفر والإلحاد والجحود والعصيان .. إلخ . أما مع النفس فإننا نجد اتباع الهوى والغرور والكبر والعجب ونحوها من أمراض القلب، وكذلك الأمراض الاجتماعية من نحو الجفاء والغلظة والبُغض والحسد والمكر والنقمة ونحوها. [انظر الكشاف التوضيحي (٤ب) إطار ١].

فإذا انتقلنا إلى الجوارح التي تأتمر بأمر هذه النفس الشريرة وجدنا ترك الصلاة والتهاون في أداء الجماعات والفسوق ونحوها، هذا مع الله — عز وجل - ، أما مع الذات فإننا نجد التبذير والتبرج والتفريط والخنوثة والكسل وما أشبه ذلك، أما مع الغير فنجد الإجرام والإرهاب والأذى والإساءة والشُح والطغيان ونحو ذلك مما تضمنته القائمة. انظر الكشاف التوضيحي (٤ب) إطار ٢].

وفيما يتعلّق بأعمال اللسان الذي استجاب لهذه النفس الأمَّارة بالسوء فإننا نجد اللغو والمجاهرة بذكر المعصية ونحو ذلك، وفيما يتعلّق بالنفس فإننا نجد التكاثر والفخر ونحوهما، أما البلاء الأعظم فهو ينجم عن اللسان في حق الآخرين من نحو الإفك والبهتان وشهادة الزور والسخرية والاستهزاء والشماتة وإفشاء السر ونحو ذلك مما تضمنته القائمة [انظر الكشاف التوضيحي (٤ب) إطار ٣].

إن اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء يؤدي حتما إلى الفشل والتشاؤم، وأما اتباع النفس المطمئنة فإنه يؤدي إلى النجاح والتفاؤل، [انظر الكشاف التوضيحي (١٢)]، ولكن ماذا بعد؟ أليست هناك إمكانية للموازنة والتصحيح وإعادة الإنسان إلى طبيعته الخيّرة؟ الجواب: نعم. وهنا يأتي دور النفس اللوامة التي تشكل صماما للوقاية وميزانا للتقويم، وقد تنجح هذه النفس عن طريق المجاهدة والمحاسبة والمراقبة في تصحيح وضع الفجور، فيعود الإنسان إلى الخير بالذكر والاستعاذة والتوبة والاحتساب ونحو ذلك مما تضمنته القائمة ١٣ أ ، فإذا ذكر الله - عز وجل - واستعان الإنسان بالله تعالى واستعاذ من الوسوسة خنس الشيطان وهرب، وهنا يجد المرء نفسه عائدًا إلى الله وفارًّا إليه من هوى النفس والشيطان فيفعل المأمورات ويجتنب المنهيات ويعود عضوًا صالحًا في المجتمع.

فإذا كانت النفس اللوامة أو ما يمكن أن نسميه بمراقبة الضمير ضعيفة ولا تستطيع مقاومة إغواء الشيطان فإن الإنسان يستمر في غيّه ويرتد أسوأ مما كان، فنشاهد منه الغضب والإحباط والعجلة والنسيان ونحو ذلك.

هذا وللنفس اللوامة أيضًا تأثيرها القوي على النفس المطمئنة لأنها تشكل خطًّا ثانيًا للدفاع عن اليقين الديني وتَأْمُلُ دائما في المزيد من الخير، وهنا تكون النفس المطمئنة مدعومة بقوتين عظيمتين إحداهما: حفظ الملائكة والأخرى النفس اللوامة، أما القوة الأولى فتحفظ الإنسان من الغرور والمن بالطاعة ونحو ذلك من الموبقات، أما الثانية فإنها تدفع إلى مزيد من الكمال وتحمي من التقصير ويكون من نتيجة ذلك اتجاه الطائع إلى الحمد والشكر والإحسان والإنفاق والبر ونحوها [انظر الكشاف التوضيحي (١٢أ)].

ونظرًا لأهمية العلاقة بين النفس الإنسانية وقضية الابتلاء، فقد قمنا بمحاولة متواضعة توضح مدى التناسب العكسي بين قوى النفس الثلاث، النفس المطمئنة والنفس اللوامة من ناحية والنفس الأمارة ــ مدعومة بغواية الشيطان ورفقاء السوء ـ من ناحية أخرى [انظر خريطة الابتلاء والنفس الإنسانية].

الابتلاء والقيم الخلقية :

إن الابتلاء هو قاعدة حركة الحياة في معطيات الإسلام عن الحياة وعن الإنسان، ومن أجلها سخر كل ما في الكون له، ووجدت الرسالات وأرسلت الرسل، ووجدت إرادة الإنسان الحرة الفاعلة، الملتزمة بإعمار الأرض وبناء الحضارة على أسس خلقية لإسعاد الناس جميعًا.

إن عملية التربية الخلقية لها أصولها (وقد بيّنا ذلك في الفصل الثاني من «الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام» في هذه الموسوعة، سواء ارتدت في التفسير إلى بناء الفرد أو تأثير المجتمع، كما أن تنمية القيم الخلقية تعتمد على فطرة الإنسان وما زود به من استعدادات، ولابد هنا من الإشارة إلى أن الإسلام والفكر الإسلامي يلفت نظرنا إلى أن النفس الإنسانية هي مناط التربية الخلقية، ويلفت نظرنا أيضًا إلى أن هذه النفس تتسم بسمات متعددة مثل: الهوى، والشهوة، والحاجات، والدوافع، والشعور بالمشقة، والصبر، والضجر، والخوف والشجاعة، والشح والكرم، والحسد، والكبر والتواضع، والضيق، والتأثر البالغ بالأقوال والأفعال، والشعور بالحسرة والندم، والشك، والإدراك والوعي واليقين والفجور والتقوى، والعلم والجهل، والقدرة على إخفاء المشاعر، والاستعداد لاتخاذ القرار، والاستعداد لإدراك الموقف في كلية وشمولية واستيعاب وإعادة النظر في كل منها، والاستعداد للاستنتاج والتحليل والتفسير، وما إلى ذلك، مما يؤكد ضرورة التربية الخلقية لأن هذه النفس مرنة وتكتسب عمل الخير ليصبح سجية لها وكذلك عمل الشر ليصبح سجية وطبعًا لها.

ونظرًا لأهمية عملية التدريب بالاختبار والتجربة بابتلاء النفس وتمحيص علاقاتها فإننا سنخص ذلك بدراسة مستقلة فيما يلي من صفحات.

الابتلاء والنفس الإنسانية

تكليف وفتنة

يلاحظ أنه كلما زادت تقوى الإنسان زادت قوى النفس المطمئنة والنفس اللوامة وضعفت قوة النفس الأمارة بالسوء بتناسب عكسي

كلما زاد فجور الإنسان زادت قوى النفس الأمارة بالسوء وضعفت تقوى الإنسان وقوى النفس المطمئنة واللوامة

الابتلاء

النفس المطمئنة

النفس اللوامة

النفس الأمارة بالسوء

التقوى

الإسلام والإيمان والإحسان

العقل والقلب	الجوارح	اللسان
التوحيد - الإخلاص	الصلاة - الصيام	الذكر - الدعاء - الإستعانة
تدبر - تأمل - تفكر	الحج - الزكاة	الدعوة - الإرشاد - الوعظ
طاعة - إستقامة	الطهارة - العفة	الإنذار - البشارة
خوف - رجاء	البر - الإنفاق	الشكر - الحمد

المراقبة	المحاسبة	المجاهدة
الحيطة - الحذر	التوبة - الإستعاذة	الصبر - الإحتساب
الأمانة - الصدق	الإستغفار - الإستخارة	اليقين - التوكل
الإعتبار - الإتعاظ	الفراسة - الفطنة	قوة الإرادة - الهمة
الحياء - اليقظة	المعاتبة - القسط	الثبات - العزم

الشيطانية	الملكية	البهيمية	السبعية
سحر - فسوق - عصيان	جبروت - طغيان - سخط	البخل - الشح - الجبن	الطمع - البغي
إبتداع - إلحاد	عتو - قسوة	التكاثر - الإسراف	الغفلة - الغضب
حقد - إغواء	كبر - غرور	الزنا - الفحش	العنف - العدوان

الظلم

الجهل

يجسد هذا الشكل علاقة الابتلاء سواء أكان ابتلاء تكليف (طاعات/معاصي) أو ابتلاء فتنة (سراء / ضراء) بالنفس الإنسانية.

ويكشف أيضاً بين الصراع الدائم بين النفس المطمئنة والتي ألهمت التقوى، ومن ثم فهي تأمر بالخير وتحض عليه، والنفس الأمارة التي الهمت الفجور، ومن ثم فهي تأمر بالشر وتغري به، وبينهما النفس اللوامة، وهي التي تقوم بدور المراقبة والمجاهدة والمحاسبة والتصحيح.

ويلاحظ في هذا الشكل أن التناسب عكسي بين قوة النفس الأمارة من ناحية، وقوة النفس المطمئنة واللوامة من ناحية أخرى فكلما قويت إحداهما ضعفت الأخرى.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ الشمس ٧-١٠

إعداد وتصميم:
عبدالرحمن بن محمد بن ملوح

